



Università  
Ca' Foscari  
Venezia

Corso di laurea magistrale  
in Lingue, economie e istituzioni dell'Asia  
e dell'Africa mediterranea

curriculum Lingua, politica e economia dei Paesi arabi

**Pane sul tavolo di zio Milad**

*Traduzione e analisi critica di passi scelti del romanzo  
dello scrittore libico Muhammad al-Na<sup>cc</sup>ās*

**Relatore**

Ch.mo Prof. Andrea Facchin

**Co-relatrice**

Ch.ma Prof.ssa Maria Cristina Paciello

**Laureando**

Anton Del Bianco

Matricola 859990

**Anno accademico**

2021/2022

## Indice

Introduzione in arabo.....	pag.2
Introduzione.....	pag.6
1.1 Il contesto sociopolitico ed economico della Libia (1935-2022) .....	pag.6
1.2 Il ruolo dell'uomo e della donna nella società libica.....	pag.10
1.3 L'autore del libro.....	pag.13
1.4 Il testo letterario.....	pag.18
1.4.1 La trama.....	pag.18
1.4.2 Stile, registro, linguaggio e tecniche narrative.....	pag.20
1.5 Note sulle tecniche e sulle strategie traduttive.....	pag.23
Traduzione.....	pag.27
Il pane.....	pag.27
Il campo.....	pag.65
La stanza di Bella.....	pag.104
Bibliografia.....	pag.127

## مقدمة

هذه المقالة هي أطروحة مترجمة من اللغة العربية الى اللغة الإيطالية لمقاطع مختارة مأخوذة من رواية *خبز على طاولة الخال ميلاد للصحفي الليبي محمد النعاس*، الذي فاز بالجائزة الأولى فـالجائزة العالمية للرواية العربية لسنة ٢٠٢٢. تسبق المترجمة من مقدمة حرجة تهدف الى تقديم الإطار التاريخي، اجتماعي وسياسي في ليبيا، الذي يسبق ويتبع ثورة ٢٠١١، خاصة دور الرجل والامرأة في مجتمع الليبي وهو موضوع رئيسي في الرواية. تتبع العرض التقديمي المذكور مقدمة عن الكاتب، عن النص الادبي (حبكة الرواية وأسلوب ولسان وسجل لغوي) وعن تقنيات واختيارات الترجمة متخذة.

في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، استعمر الإيطاليون ليبيا وتركوها خلال الحرب العلمية الثانية، ثم قاموا الليبيين بتأسيس نظام ملكي وملكه ادريس الأول. تمت الإطاحة بالنظام الملكي في عام ١٩٦٩ في اعقاب انقلاب وتأسيس مجلس قيادة الثورة الليبي مع معمر قذافي كقائد له. بعد ٤٠ سنة من الجماهيرية، في عام ٢٠١١، تبدأ مظاهرات واحتجاجات شعبية ضد النظام وسرعان ما تحاولون المظاهرات الى ثورات مسلحة. بعد فشل محاولات عديدة المجلس الوطني الانتقالي لتأسيس حكومة، أخيرا جرت انتخابات اعضاء المؤتمر الوطني العام في عام ٢٠١٢ وفاز فيها حالف القوى الوطنية.

الان ليبيا مقسمة الى حكومتين، مقر واحدة منهما في طرابلس، تحت حكومة الوحدة الوطنية، مع عبد الحميد محمد الدبيبة كقائدة وهو معترف دوليا، ومقر الأخرى في طبرق وهذه الحكومة تم انشائها من قبل مجلس النواب في مارس ٢٠٢٢، مع فتحي علي عبد السلام باشاغا كقائدها. هذا الأخير ليس معترفا ولا مقبولا على المستوى الدولي.

في ليبيا، بعد الاستقلال، كانت الدستورية تشمل حقوق مستوية للنساء والرجال، ولكن بالفعل ما كانوا للنساء فرص مستوية في المهنة والوظيفة، فتم توظيف النساء للعمل كمرضات ومعلمات وموظفات فقط وما كانت نسبة النساء العاملات أعلى من ٧ في المئة. كما عانوا من اضطهاد النظام على عائلتهن لأن المرأة الليبية هي مكرسة تقليديا لأهلها.

لذلك، شاركت النساء للمظاهرات ضد النظام وقد لعبوا دورا رئيسيا في ثورة ١٧ فبراير. لقد شركوا في الاحتجاجات وكانت نشطات على الشبكات الاجتماعية وداعمو المقاتلين بإعطائهم الطعام والرعاية الطبية.

ولكن ساءت الحالة النساء في المجتمع الليبي بعد سقوط الدكتاتور، بسبب ازداد العنف والتحرش ضدهن والقيود على حقوقهن، لاسيما بخصوص فيما يتعلق بحقهن في السفر وقواعد اللباس وجائحة فيروس كورونا لم يساعد، فكانوا النساء من بين الأكثر المتضررات.

مع مرور الوقت، تحسن الواضع المهني للنساء، وزادت نسبة النساء العمالات الى ما بين ٢٠ و ٣٠ في المئة، ولكن حالتهم لا تزال سيئة، فالعقوبات الرئيسية الحالية للمساواة بين الجنسين ولتمكين المرأة هي بطالة النساء، وهي عالية بسبب عدم اعتراف مساهمهن في الاقتصاد، الحيز والصور النمطية؛ معدل منخفض التمثيل السياسي وفي المجال الإنساني وفي مجالات حل النزاع وبناء السلام؛ العنف المرتكب ضدهن، بغض النظر عن نوعه ومهما أشكاله، وعدم إطار قانوني مناسب لحمايتهن من العنف المذكور؛ واستمرار وتعقيد الأزمة الإنسانية التي تبثلى بشكل غير متناسب الفئات الأكثر ضعفا من السكان.

ولد محمد النعاس في ٣١ مارس ١٩٩١، في مدينة تاجوراء، التي واقعة في شمال ليبيا، قرب من طرابلس. تخرج في المهندسة من جامعة طرابلس ويعمل الآن كاتبا وصحفيا. فاز بالجائزة العالمية للرواية العربية لسنة ٢٠٢٢ عن روايته *خبز على طاولة الخال ميلاد*، التي يحكي قصة ميلاد، شباب ليبي يعيش في قرية قريبة من الظهرة في شمال ليبيا وهو يكتشف ان الناس في القرية يتكلمون وراء ظهره ويهينونه بسبب شخصيته وشلوكه مع نساء عائلته.

لطالما أحب الكاتب الخبز منذ أن كان طفلا صغيرا وكان يجلب حلويات الى المخبز المحلي ليطبخها صاحب المخبز وهو جاره في الحي. في هذه الأوقات، هو كان يتنفس رائحة الخبز الحديث ويتشمس في حرارة الفرن. عند كبر، أراد أن يكتب كتابا عن الخبز والمخبز، ولكن حاول أن يفعل ذلك ولم يستطيع، لأنه شعر أن هناك شيئا مفقودا. أدرك لاحقا أن ما كان ينقصه هو تجربته المباشرة مع الأمر الذي يريد التحدث عنه، فقرر خلال العزال المفروض بسبب جائحة فيروس كورونا ان كان عليه ان يتعلم كيفية مصنع الخبز. بعد أشهر من التعلم، شعر

أنه جاهز وبدأ كتابة رواية ميلاد، مستوحى من مثل ليبي عليه وخالها ميلاد، الذي يستخدم للإشارة إلى النساء اللواتي لا يلتزم بقواعد المجتمع وإلى الرجال الذين لا يسيطرون عليهن. يعيش ميلاد في مجتمع من المقترح أن يسيطر الرجل على النساء فيها، ولكنه لا يفي بالتوقعات في هذا السياق، فهو كبير مع أربع أخوات واعتاد على تمشيط شعرهن ويحب أن يطبخ وينظف بيته.

يحكي لنا الكاتب واضع المرأة ومفهوم الذكورة في المجتمع الليبي من خلال حوادث ميلاد. أن ميلاد متزوج من زينب وهي فتاة التي هو التقى بها عندما كان طفلاً. زواجهما ليس تقليدياً، لأنها هي التي تعمل وهو الذي يطبخ وينظف البيت ويغسل الأطباق والملابس. هما سعيدان باتفاقهما حتى اللحظة التي ميلاد يكتشف فيها أن كل القرية تخسر منه لأنه ليس رجلاً حقيقياً. ميلاد عانى دائماً بسبب افتقاره إلى رجولته، حسب رأي الآخرين عنه ولذلك عندما اكتشف ماذا كان الناس يقول عنه حاول الانتحار للمرة الثانية في حياته. إنه رجل عاقل وحساس وهو يعامل المرأة على أنها مساوية له أو حتى أعلى منه، فكبر مع أربع أخوات وهو كان يحب تمشيط شعرهن والجلوس معهن. ولكن عندما اكتشف والده ذلك، فضربه ووبخه وقال له إنه ما كان رجلاً حقيقياً. يتعلم ميلاد فن صنع الخبز من والده في مخبزه وهو مسمي كوشة، ويحاول الطفل أن يصبح رجلاً حقيقياً ليجعل والده فخوراً وهو حتى يتجند في الجيش ليفعل ذلك، فكان تمنى موت أبيه أن يصبح ابنه رجلاً. ولكن لا تعمل تجربة الجيش مع ملازم المادونا وهو رجل شرسا ومتطرس الذي يعامل ميلاد معاملة سيئة في كل الزمن، فلا يحصل شخصيتنا الرئيسية على أعفاء عسكرية إلا بعد تجربة سيئة في منطقة الجري للمعسكر العسكري.

في أعقاب تجربته العسكرية يقرر ميلاد أن يكون هو نفسه من الآن فصاعداً وألا يحاول أن يصبح رجلاً صحيحاً كابن عمه، كما أراد أبيه، فيقترح مثلاً على زوجته أن يخلع حجابها وهما في شهر الغسل ويبقى في البيت للعناية بالمنزل وللطبخ وهي تعمل. الشرط الوحيد الذي تطرحه له زوجته هو ألا يخبر أمه وأخواته بذلك لأنهن تعاملها بازدراء لأنها امرأة عصرية. عند ميلاد ابن عم وهو مثال الذكورة السامة التي تم التنديد بها في هذا الكتاب، فهو لا يعمل ويقول دائماً لميلاد أن زينب تغش عليه ويحول وضعه مع عاهرة بدون جدوى.

تقدم هذه الرواية منظورا جديدا للهوية الجنسية ولمفهوم الذكورة ولدور المرأة في المجتمع الليبي والعربي ويأمل الكاتب انه سيدفع تواطواه وأبناء جيله الى تعبير عن أنفسهم.

## Introduzione

### 1.1 Il contesto sociopolitico ed economico della Libia (1935-2022)

La Libia è un Paese che si trova in Nordafrica, per la maggior parte nel deserto del Sahara. Buona parte della popolazione si concentra lungo la costa e nell'immediato entroterra, dove vi è Tripoli, la capitale giuridica. Comprende tre regioni storiche: Tripolitania a nordovest, Cirenaica a est e Fezzan nel sudovest, che sono state unificate sotto il dominio italiano, per formare una colonia unica, poi diventata la Libia indipendente. Per gran parte della storia antica, Tripolitania e Cirenaica erano simili, culturalmente e socialmente, ai territori a esse adiacenti, più che l'una all'altra. Considerata povera di risorse e limitata in gran misura dall'ambiente desertico, la Libia ha dipeso a lungo in importazioni e aiuti esteri per quanto riguarda la propria economia, fino alla scoperta del petrolio alla fine degli anni Cinquanta, quando il governo ha iniziato a esercitare un forte controllo sull'economia e ha cercato di sviluppare agricoltura e industria con gli introiti derivati dal settore petrolifero, stabilendo anche un welfare state che forniva sanità ed educazione a un prezzo ridotto per il popolo.

La maggior parte della popolazione, che afferma di discendere dai *Banū Hilāl* e dai *Banū Sulaym*, che si sostiene abbiano invaso il Maghreb nell'undicesimo secolo, parla l'arabo, lingua ufficiale, e anche i gruppi beduini amazigh, ovvero i discendenti di quelle che si ritiene siano le popolazioni autoctone, si sono assimilati nella società araba, adottandone l'alfabeto arabo, fatta eccezione per qualche regione. La maggior parte dei libici sono musulmani sunniti, con minoranze di cattolici romani, cristiani ortodossi, membri della *Sanūsiyya*,<sup>1</sup> mentre gli ebrei, comunità che si era stabilita in Tripolitania, sono emigrati per l'Italia negli anni Sessanta.

Tra le ingenti spese sostenute dal governo italiano negli anni Venti e Trenta del diciannovesimo secolo per lo sviluppo di città, strade e colonie agricole per i cittadini italiani vi è l'iniziativa di colonizzazione demografica lanciata da Benito Mussolini nel 1935: nei tre

---

<sup>1</sup> Confraternita islamica (*ṭarīqa*) che, durante la Seconda Guerra Mondiale, in Libia, assume posizioni filo britanniche per impedire che il Paese torni sotto dominio italiano.

anni successivi, circa 150.000 cittadini italiani si sono insediati in Libia, arrivando a costituire 1/5 della popolazione totale del Paese. Sforzi coloniali e conseguente sviluppo economico in Libia che vennero però resi vani dalla campagna del Nordafrica:<sup>2</sup> già nell'anno 1942, gli italiani avevano lasciato il Paese, lasciando tracce di sviluppo economico e amministrativo solo in Tripolitania. Nell'anno 1945, la Libia era impoverita, sottopopolata e divisa in tre regioni di tradizioni politiche, economiche e religiose diverse.

A ciò seguirono discussioni della durata di quattro anni, al termine delle quali, nel 1949, l'Assemblea generale delle Nazioni Unite votò perché la Libia diventasse un regno unito e indipendente entro il 1952.

Nel 1950 viene stilata una costituzione per uno stato federale con un parlamento separato per ogni provincia e nominato re *Sīdī Muḥammad Idrīs al-Mahdī al-Sanūsī*, capo della *Sanūsīyyah*, che nel 1951 dichiara la Libia un regno indipendente e bandisce i partiti politici, assumendo un'autorità assoluta. Sebbene la Libia si unisca alla Lega Araba<sup>3</sup> nel 1953 e nel 1956 nega alle truppe britanniche il permesso di sbarcare durante la crisi di Suez,<sup>4</sup> il governo in generale adotta posizioni filooccidentali negli affari internazionali.

Nel settembre del 1969 viene rovesciata la monarchia di Idris I, la costituzione viene sospesa con un colpo di stato, e viene istituito il Consiglio di Comando Rivoluzionario, formato da dodici membri, poi sostituito dal Segretariato del Congresso del Popolo Generale, il cui segretario generale è il colonnello Muammar Gheddafi, che in seguito dà le dimissioni dall'incarico ma rimane de facto a capo della rivoluzione e del Paese fino al 2011.

Anche se il leader storico della Libia, Muammar Gheddafi, ha sposato un'ideologia politica idiosincratica basata sull'egalitarismo socioeconomico e sulla democrazia diretta, nell'atto

---

<sup>2</sup> Conosciuta anche come guerra del deserto, è stato un conflitto tra Italia e Germania da una parte e gli Alleati dall'altra, avvenuto tra il 1940 e il 1943 e conclusosi con la vittoria delle forze alleate.

<sup>3</sup> Organizzazione politica di stati del Nordafrica e della penisola araba, fondata nel 1945, a cui la Libia si unisce nel 1953.

<sup>4</sup> Conflitto che ha inizio quando, nel 1956, Francia, Israele e Regno Unito occupano militarmente il canale di Suez e che ha fine quando la Russia minaccia di intervenire a fianco di Egitto e Stati Uniti.

pratico la Libia è rimasta uno stato autoritario, in cui il potere è rimasto concentrato nelle mani dei membri della cerchia interna di parenti e capi di sicurezza di Gheddafi. L'opposizione al regime ha raggiunto un livello senza precedenti con le rivolte armate del 2011, tanto da forzarlo a cedere il potere: l'insurrezione contro il dominio incontrollato del "fratello comandante", durato quarant'anni, ha portato a una guerra civile e a un intervento militare internazionale. Il 15 febbraio 2011, a seguito dell'arresto di un avvocato per i diritti umani, Fathi Terbil, sono iniziate delle proteste a Bengasi: i protestanti hanno richiesto le dimissioni di Gheddafi e la liberazione dei prigionieri politici. Per contrastare le proteste, le forze di sicurezza hanno usato cannoni ad acqua e proiettili di gomma e organizzato raduni a favore del governo. Tali misure cautelari si sono intensificate, arrivando all'uso di proiettili letali, con il continuare di queste proteste, che stavano iniziando a diffondersi anche nella capitale, Tripoli, e l'accesso a telecomunicazioni e internet è stato ristretto. A seguito della condanna di tale incoerente uso di forza nei confronti dei manifestanti da parte di organizzazioni per i diritti umani, di leader di Paesi esteri, ambasciate e diplomatici libici, nonché di parte dell'esercito, Gheddafi, ha rilasciato il 22 febbraio una dichiarazione, nella quale negava di aver usato forza sui manifestanti, ma dicendo anche che l'avrebbe fatto, pur di restare al potere. Sempre più parti dell'esercito, però, stavano iniziando a partecipare alle proteste, che ben presto sono diventate una ribellione armata contro il regime che, ora del 23 febbraio, aveva espulso le forze armate del dittatore dall'est del Paese e da molte città dell'ovest, mentre Gheddafi si rifugiava, insieme alle sue unità paramilitari e alla sua cerchia ristretta, nella città di Tripoli. Sono state varate misure volte a ostacolarlo da parte dell'ONU, quali sanzioni contro il regime, embarghi sulle armi e sui viaggi, congelamento dei beni mobili della famiglia del comandante.

Seguono mesi di guerriglia tra le forze di Gheddafi e le milizie di ribelli, fino a che, il 20 ottobre 2011, Gheddafi è catturato e ucciso a Sirte da combattenti ribelli. Questi, però, riluttanti all'idea di accettare l'autorità di un governo ad interim formato senza il contributo del popolo

da parte di un'organizzazione che aveva avuto legami con Gheddafi,<sup>5</sup> non abbandonano le armi e, nell'attesa che appaia un'organizzazione reale,<sup>6</sup> continuano a combattere tra di loro, essendo la loro alleanza ormai priva di un nemico comune.<sup>7</sup>

Dopo vari tentativi falliti di stabilire un governo da parte del Consiglio nazionale di transizione<sup>8</sup> si tengono le elezioni, nel luglio del 2012, dei membri del Congresso nazionale generale,<sup>9</sup> in cui l'Alleanza delle Forze Nazionali<sup>10</sup> vince la maggioranza dei seggi.

Ora, la Libia è divisa in due governi, uno, con sede a Tripoli, sotto il Governo di unità nazionale guidato dal primo ministro Abdul Hamid Dbeibah, riconosciuto a livello internazionale, l'altro, con sede a Tobruk, creato dalla Camera dei Rappresentanti nel marzo 2022, guidato dal primo ministro Fathi Bashagha, che però non è riconosciuto dalle Nazioni Unite.

---

<sup>5</sup> Editori dell'Enciclopedia Britannica, History of Libya, in "Britannica", 1998 (revisione 2015), <https://www.britannica.com/place/Libya/History>, ultimo accesso 18/01/2023.

<sup>6</sup> Laessing Ulf, *Understanding Libya since Gaddafi*, Londra, C. Hurst & Co., 2020, p.74.

<sup>7</sup> Ibid., p.76.

<sup>8</sup> O anche Consiglio nazionale ad interim di transizione, autorità politica formatasi a seguito delle rivolte, in opposizione a Gheddafi.

<sup>9</sup> Consiglio di duecento membri con l'obiettivo di instaurare in Libia una costituzione democratica entro i 18 mesi successivi. Viene dissolto nel 2016.

<sup>10</sup> Alleanza politica libica, creata nel 2012 per unire i movimenti politici a favore della democrazia, di cui fanno parte i due presidenti successivi, Maḥmūd Jibril (2012-2020) e Khālid al-Mārimī (2020-2021).

## 1.2 Il ruolo dell'uomo e della donna nella società libica

Prima dell'indipendenza la Libia era caratterizzata da una società tribale, tradizionale e conservatrice, e la popolazione era composta principalmente da beduini e agricoltori. Nelle zone rurali, le donne si occupavano della famiglia e lavoravano nelle fattorie; nelle aree urbane, invece, venivano relegate nelle loro abitazioni.

Dopo l'indipendenza, la costituzione del 1951 ha garantito a tutti i libici, comprese le donne, diritti umani e civili, quali l'uguaglianza di fronte alla legge, di opportunità, di doveri pubblici, senza distinzione religiosa, linguistica, di pensiero politico o di opinione sociale;<sup>11</sup> sanciva, inoltre, libertà personale, diritto di uguale protezione legislativa e libertà di culto. Nel periodo della monarchia, i diritti delle donne sono stati rispettati nell'ambito dell'istruzione e delle opportunità di ricoprire incarichi lavorativi e politici; negli anni Sessanta, le donne avevano il diritto di partecipare ad attività politiche, votare e formare associazioni.

Nell'era di Gheddafi, con un decreto costituzionale firmato il 10 dicembre 1969, sono stati garantiti alle donne gli stessi diritti degli uomini davanti alla legge.

Negli anni Settanta, le leggi del lavoro varate prevedevano la stessa retribuzione per uomo per donna; altre, incoraggiavano il lavoro dopo il matrimonio e il parto, mentre altre ancora garantivano il diritto di pensionamento ai 55 anni. L'età minima per il matrimonio era fissata ai 18 anni (legge rispettata più che altro nelle zone urbane) e veniva garantito diritto di divorzio uguale. Sono state varate altre leggi per garantire alla donna l'opportunità di iniziare attività lavorative nel settore privato e per richiedere prestiti senza che fosse necessario il consenso del marito.

Le donne, però, continuavano ad essere assunte per lo più come insegnanti, infermiere o impiegate e ad essere discriminate nella scelta per cariche alte e cariche governative e, negli anni Ottanta, solo il 7 per cento della forza lavoro nel paese era costituito da donne, tasso che

---

<sup>11</sup> Art.10 della Costituzione del Regno Unito della Libia del 1951.

arriva al 20 per cento se si considera il lavoro informale,<sup>12</sup> e, nonostante un'alta partecipazione a livello educativo, poche donne ricoprivano incarichi tradizionalmente maschili (medicina, giurisprudenza e ingegneria) in ambito lavorativo. L'occupazione raggiunge il 37% solamente tra il 1986 e il 2006.<sup>13</sup>

Non sono mancati controsensi all'interno delle stesse leggi che, almeno in teoria, erano a favore della donna e dei suoi diritti: esempio di questo è il fatto che, nel caso una donna decidesse di risposarsi, avrebbe dovuto cedere la custodia dei propri figli, che fosse alla propria madre o a quella dell'ormai ex-marito.

Per tradizione, le donne libiche sono sacrificate alla famiglia, cosa che ha fatto sì che fossero tra le più colpite dalle conseguenze dell'oppressione del regime sui propri famigliari.

Le donne hanno avuto un ruolo fondamentale nel successo della Rivoluzione del 17 febbraio. Hanno partecipato sotto ogni aspetto: prendendo parte alle manifestazioni iniziali, documentando gli abusi sui diritti umani, rimanendo attive sui social network e su altri mezzi di comunicazione, fornendo supporto ai combattenti, sfamandoli e curandoli e contrabbandando armi. Nell'atmosfera post-liberazione dal regime, sono state formate numerose organizzazioni civili che promuovono la lotta per i diritti della donna. Alle elezioni del Congresso nazionale generale del 2012, erano donne il 45% dei votanti, la metà dei candidati e 33 dei 200 membri eletti.

Ad oggi, il quadro della condizione femminile nella società libica risulta confuso e preoccupante: se i diritti della donna in Libia erano, sotto Gheddafi, considerati abbastanza progressisti, soprattutto rispetto ad altri Paesi nella regione, immediatamente dopo la rivoluzione, però, sono iniziate minacce e violenza contro le donne, soprattutto attiviste e

---

<sup>12</sup> Azzuz Intisar S., "Libyan Women: Past, Present, and Future", in Toperich Sasha, Mullins Andy, *A New Paradigm: Perspectives on the Changing Mediterranean*, Washington DC, Center for Transatlantic Relations, 2014, pp. 149-158.

<sup>13</sup> Ibid.

politiche, e il Gran Mufti<sup>14</sup> ha rilasciato *fatwā* che imponevano loro un *dress code* e limitavano i loro diritti di viaggio<sup>15</sup> e, nel 2011, il Congresso nazionale di transizione annuncia la propria intenzione di instaurare nuovamente la poligamia. Vi sono estreme limitazioni poste alle organizzazioni sociali e civili e sono poche le entità in grado di colmare il divario tra la retorica a favore dei diritti della donna e la realtà di fatto: non ci sono stati grandi cambiamenti nell'attitudine sociale e comportamentale nei confronti della donna.<sup>16</sup> A ciò, si è aggiunta la pandemia del virus COVID-19, che ha colpito le donne in Libia in maniera maggiore, limitandone ulteriormente le possibilità economiche, politiche e sociali.

I principali ostacoli odierni verso l'uguaglianza di genere e l'emancipazione femminile sono: la disoccupazione femminile, elevata a causa di mancanza di riconoscimento del loro contributo all'economia, stigma, pregiudizio e stereotipi; un tasso basso di rappresentazione a livello politico, nella sfera umanitaria e negli ambiti di risoluzione dei conflitti e del processo di pace; la violenza perpetrata nei loro confronti, in tutte le sue sfaccettature e la mancanza di un adeguato quadro giuridico che le protegga da essa, oltre che il protrarsi e la complessità della crisi umanitaria, che affligge in modo sproporzionato i gruppi più vulnerabili della popolazione.<sup>17</sup>

---

<sup>14</sup> Giureconsulto islamico che rilascia *fatwā*, l'equivalente dei *responsa* romani, ovvero pareri eruditi che non hanno un vero e proprio peso legale ma godono di un'alta considerazione.

<sup>15</sup> Quest'ultima poi scartata, a seguito di una protesta pubblica.

<sup>16</sup> Cfr. Kelly Sanja, Breslin Julia, *Women's Rights in the Middle East and North Africa*, Plymouth, UK, Rowman & Littlefield Publishers, 2010.

<sup>17</sup> *Libya*, in "UNWomen Arab States" <https://arabstates.unwomen.org/en/countries/libya>, ultimo accesso 24/01/2023.

### 1.3 L'autore del libro

Muhammad al-Na<sup>cc</sup>ās nasce a Tagiura (Tājūrā) il 21 marzo del 1990, si laurea in ingegneria all'università di Tripoli, scrive saggi e storie brevi e fa il suo debutto nel mondo editoriale con una raccolta di racconti brevi, *Dam ʿazraq* ('Sangue blu'), pubblicata nel 2020. Sebbene sia il quarto libro che ha scritto, *Khubbz ʿalā ṭāwilat al-khāl Mīlād* ('Pane sul tavolo di zio Mīlād') è il suo primo romanzo ad essere pubblicato e, ironicamente, il primo che ha scritto senza avere inizialmente l'idea di pubblicarlo, ma con il semplice obiettivo di poterlo avere tra le sue mani.<sup>18</sup> Il libro, pubblicato con l'aiuto della Libyan Arete Foundation, ha vinto il primo premio alla quindicesima edizione dell'International Prize for Arabic Fiction, nel 2022, in cui è stato scelto tra romanzi pubblicati nel periodo che va dal luglio 2020 e il giugno 2021. È il primo libico e il più giovane autore a vincere tale premio, dato che aveva 31 anni al momento della vincita. Per al-Na<sup>cc</sup>ās questa vittoria è simbolo della speranza dei suoi connazionali e della generazione di cui fa parte di farsi coraggio e di essere in grado di far sentire la propria voce, messa al margine da quarant'anni di dittatura e dieci di guerra civile.<sup>19</sup> A suo parere, il suo romanzo offre nuove domande da aggiungere alla discussione riguardo uguaglianza e mascolinità. Essendo l'autore più giovane ad aver vinto il premio e il primo della generazione degli anni Novanta, spera e crede che il suo esempio possa spingere altri giovani a sprigionare il proprio talento creativo e che nuove, forti voci, che offriranno una nuova prospettiva della letteratura araba, si faranno sentire. La letteratura in Libia ha sofferto la marginalizzazione e la censura protrattesi per decenni sotto la dittatura di Gheddafi, che rendeva autori e poeti alla stregua di impiegati dello Stato; ora, c'è una nuova tendenza di liberalismo tra gli scrittori giovani, contrastati dai resti del vecchio regime e da un'ondata di militanti che lotta contro la letteratura e la libertà di parola, ma, secondo lui, d'ora in avanti la letteratura libica avrà una

---

<sup>18</sup> Interview with Mohamed Alnaas, winner of the 15th International Prize for Arabic Fiction, in "International Prize for Arabic Fiction", 2022, <https://www.arabicfiction.org/en/node/2028>, ultimo accesso 21/02/2023.

<sup>19</sup> Ibid.

voce che nessuno ha sentito prima, carica di cent'anni di ferite, sì, ma una voce coraggiosa e forte.

La scrittrice libanese Iman Humaydan, membro della giuria del premio, ha affermato che il tema dell'identità di genere è nuovo all'interno della narrativa araba e che il fatto che è stato affrontato in maniera semplice e priva di ideologia è ciò che lo contraddistingue.<sup>20</sup>

Nel 2018 al-Na<sup>c</sup>ās ha iniziato a ideare il romanzo, per il quale all'inizio aveva solo il titolo, ispirato a un proverbio popolare libico, e il nome del protagonista da esso tratto. Il titolo del libro si riferisce a un proverbio libico, “una famiglia il cui zio è Mīlād” (‘āyla wa-ḥalu-h Mīlād), usato per riferirsi a donne che non rispettano le tradizioni della propria società, che lavorano e non indossano il velo: l'autore immagina questo fantomatico Mīlād (di seguito Milad) come protagonista del suo romanzo, una persona che non si comporta come ci si aspetterebbe secondo la società che lo circonda e che non sa far rispettare la propria autorità maschile da parte delle donne della sua famiglia, a partire da un episodio in cui gira voce che la nipote vada all'università senza velo, con i pantaloni e che si scriva con i suoi compagni di corso uomini, e ne scaturisce una riflessione sui concetti di mascolinità e di virilità nella società libica contemporanea. Milad prova a diventare la personificazione della mascolinità, per come la vede la sua società, ma, dopo aver sposato Zaynab, decide di essere sé stesso. Si occupa della casa e di altre attività che la società libica ritiene femminili mentre è sua moglie a lavorare per mantenere la famiglia. Presto, però, scopre di essere ridicolizzato dall'intero paese. Il libro è un'esplorazione e uno smantellamento dei preconcetti della mascolinità, soprattutto in una società devastata dal conflitto. Come affermano Bedirian e Saeed: “Milad è diverso dalla sua comunità, che non gli permette di vivere come vorrebbe e lo forza ad essere

---

<sup>20</sup> *Celebrations at the Winner Ceremony of the 15th International Prize for Arabic Fiction*, in “International Prize for Arabic Fiction”, 2022 <https://www.arabicfiction.org/en/node/2026>, ultimo accesso 24/01/2023.

come loro e penso che sia questo quello che distrugge le società, quel bisogno comune e sistematico che tutto sia uguale”.<sup>21</sup>

Il libro è stato scritto in sei mesi, durante l’isolamento, mentre Tripoli era sotto i bombardamenti di una delle fasi più violente della guerra civile in Libia<sup>22</sup>. È proprio durante l’isolamento che il secondo protagonista del romanzo prende, letteralmente, forma: il pane. Il rapporto speciale che l’autore ha con il pane risale alla sua infanzia e si riflette in tutto il testo letterario. Quando l’autore era giovane, infatti, era solito portare vassoi di *kahk*<sup>23</sup> e *magroudh*<sup>24</sup> in una panetteria di Tripoli, gestita da un suo vicino di casa, il quale poi li infornava per la famiglia di al-Na‘ās, cosa che poi, nel racconto, fa anche la moglie del protagonista, Zaynab, da piccola, nel corso di un’analessi. Quelli erano bei momenti per l’autore, in cui assaporava il profumo del pane appena sfornato e si crogiolava nel calore del forno della panetteria. Poi, di ritorno a casa, era solito mangiare un po’ del pane sfornato, facendo attenzione a non farne cadere, perché altrimenti sarebbe stato “annusato dal diavolo” e quindi non più commestibile: in tal caso, andava raccolto velocemente, bisognava togliere la terra e la polvere, e dire che a quel punto “era Dio ad averlo annusato”, poi baciarlo e passarlo sulla propria fronte, come la madre gli aveva insegnato.<sup>25</sup> Per lui era il cibo più speciale. Più avanti, l’autore ha conosciuto anche pane straniero: baguette e casse-croûte provate in Tunisia, durante un viaggio di famiglia che ricorda molto la luna di miele dei due protagonisti all’interno del romanzo.

---

<sup>21</sup> Bedirian Razmig, Saeed Saeed, *Ipaf winner Mohammed Alnaas on Libyan literature’s ‘voice full of wounds’*, in “The National”, 2022, <https://www.thenationalnews.com/weekend/2022/05/27/ipaf-winner-mohammed-alnaas-on-libyan-literatures-voice-full-of-wounds/>, ultimo accesso 22/01/2023.

<sup>22</sup> L’attacco alla capitale condotto, tra aprile 2019 e giugno 2020, dalle forze del generale Khalifa Haftar, alleato del governo di Tobruk.

<sup>23</sup> Dolce di origine egiziana, con miele, datteri e spezie, tipico del periodo di digiuno nel mese musulmano di Ramaḍān.

<sup>24</sup> Maqrūḍ, un altro dolce, di origine tunisina e algerina, preparato con semola di grano duro, datteri e altri ingredienti che variano in base alla ricetta.

<sup>25</sup> Sezione in larga parte tratta da al-Na‘ās Mohammad, *Kneading Words: Mohammed Alnaas on Bread, Writing, and the Stuff of Language*, in “Arablīt & Arablīt Quarterly”, 2022, <https://arablīt.org/2022/09/26/kneading-words-mohammed-alnaas-on-bread-writing-and-the-stuff-of-language/>, ultimo accesso 22/01/2023.

L'autore però non ha solo ricordi positivi legati al pane: ricorda ad esempio quando, nel 2011, durante le rivolte, doveva fare la fila per dure ore dalle sei di mattina per ricevere la sua razione quotidiana di pane, cosa che gli ha creato brutti ricordi che l'hanno spinto addirittura a smettere di mangiarlo, anche per fare una dieta, gradualmente, sino a che, a metà del 2014, ha smesso di mangiarlo completamente. Dopo molti viaggi, però, la sua passione per questo cibo si è riaccesa, portandolo ad approfondirla provando il *casse-croûte* tunisino, simile alla *mhawara*<sup>26</sup> libica, il pane tedesco e quello piatto usato per i panini in Turchia.

Successivamente, ha deciso di scrivere un romanzo su un panettiere e, non credendo nell'idea di scrivere senza provare in prima persona quello che si racconta, ha deciso quindi di imparare a fare il pane, perché, anche se magari la storia avesse preso una piega fantastica, aveva bisogno di inserirvi almeno un elemento realistico. Aveva già provato a scrivere tale libro più volte, ma senza successo: aveva la costante sensazione che mancasse qualcosa; qualcosa che era restio ad approfondire. Per tre anni ha desiderato imparare, senza poterlo fare, per questioni di tempo; poi, come molti altri, ha colto l'occasione di approfondire la sua passione nel periodo di isolamento, stabilito in risposta alla pandemia del virus COVID-19, nel 2020. Così, seguendo la ricetta trovata sull'account di uno chef libico, che vive a Londra e che sua moglie Rima seguiva, ha provato a fare la sua prima pagnotta di *mhawara*. Nei successivi quattro mesi ha affinato la sua tecnica e sviluppato la sua teoria al riguardo, teoria che esprime poi il padre del protagonista in un dialogo col figlio all'interno del romanzo: “è processo semplice, da dividere, come in un'equazione matematica, nel numero di passaggi, ingredienti e lo 'sconosciuto'.” È proprio grazie a questa sua avventura con il pane, quest'esperienza di creatività e precisione che lui paragona all'arte di scrivere, che l'autore troverà l'ingrediente che gli mancava nella stesura del suo romanzo: la pazienza. Quindi, ha provato anche a fare, per la prima volta, una baguette francese, che richiede molta pazienza, sia per il tempo necessario sia per le diverse tecniche di impasto, e che è fatta di quei quattro

---

<sup>26</sup> O anche *mhoura* o *madaas* (*muhawwara*), ovvero “rotondo”, è un tipo di pane libico simile alla ciabatta italiana.

ingredienti che per lui simboleggiano gli ingredienti della narrativa, ovvero farina, cioè verità; acqua, l'anima; sale, il linguaggio e lievito, ovvero la vita. Afferma di sapere di essere caduto nel cliché degli scrittori, che paragonano il loro mestiere a un'altra attività di cui si sono appassionati<sup>27</sup>. Nell'aprile del 2020, soddisfatto delle sue abilità culinarie, che avevano richiesto l'utilizzo quotidiano di un chilogrammo di farina, si è messo a scrivere la prima riga del romanzo e da lì è andato avanti, senza sosta, per sei mesi.

---

<sup>27</sup> al-Na'ās Mohammad, *Kneading Words: Mohammed Alnaas on Bread, Writing, and the Stuff of Language*, in "Arablit & Arablit Quarterly", 2022, <https://arablit.org/2022/09/26/kneading-words-mohammed-alnaas-on-bread-writing-and-the-stuff-of-language/>, ultimo accesso 22/01/2023.

## 1.4 Il testo letterario

### 1.4.1 La trama

Milad, unico figlio maschio con quattro sorelle, vive in un paese vicino a Dahra, in Libia. Suo padre, ora deceduto, aveva una panetteria, prima in città, poi spostata nel paese, che, alla sua morte, ha ceduto al fratello. Milad ha iniziato a lavorare in panetteria da giovane, ma dopo la cessione, se n'è andato, anche per realizzare il sogno di suo padre per lui, ovvero arruolarsi nell'esercito per diventare un "vero uomo"; un'esperienza di breve durata, durante la quale Milad capisce di non essere tagliato per personificare l'ideale di mascolinità della società a lui contemporanea, e dalla quale riesce ad essere congedato a seguito di ferite a lui incorse durante un'esercitazione nell'arena di corsa. Tornato dall'esercito, inizia a lavorare in una pizzeria in città e a riprendere i contatti coi suoi vecchi amici d'infanzia. Sarà mentre è in compagnia di uno di loro che rivedrà Zaynab, sorella di un suo vecchio compagno di giochi, con il quale aveva chiuso i rapporti a seguito di una litigata giovanile, e che lui accompagnava a scuola insieme al fratello, dopo averci fatto amicizia durante una partita di calcio che lei seguiva. Si mette sulle tracce di Zaynab, ora all'università, nel suo tragitto quotidiano, infatuato ma timido allo stesso tempo, finché un giorno si fa coraggio e le parla. Da allora inizia una relazione semi-clandestina, all'ombra della possibile furia del fratello e della società che cerca di censurare qualsiasi tipo di rapporto prematrimoniale. I due si sposteranno e, durante la luna di miele, Milad farà sfoggio di una tolleranza inusuale per un "vero uomo libico": le permetterà, anzi, le consiglierà, di togliersi il velo durante il viaggio, cosa che sorprenderà la stessa Zaynab. Milad, difatti, cresciuto con quattro sorelle, subendo le sgridate del padre perché pettinava loro i capelli, è agli antipodi dell'esempio del classico uomo, virile, secondo l'opinione generale della comunità di cui fa parte. Ha una visione molto egualitaria del rapporto uomo-donna e gli episodi in cui cerca di affermare la propria "autorità" si possono contare sulle dita di una mano: nessuno di questi, tra l'altro, ha goduto di particolare successo. Dopo il matrimonio, è Zaynab a portare a casa la pagnotta, mentre Milad si occupa

di cucinare, pulire la casa e tenerla in ordine, lavare e stirare. Un tacito accordo, che permette loro di condurre una vita che scorre piacevolmente tranquilla, fino a quando, all'indomani di un episodio riguardante la nipote di lui, Milad scopre di essere lo zimbello del paese, per via di suo cugino, "uomo vero" e personificazione della "mascolinità tossica" che vede l'uomo superiore, in una posizione di autorità e di controllo sulla donna, quasi alla stregua di un oggetto, come si evince da numerosi episodi, come quello della prostituta. Il cugino lo informa anche che c'è un proverbio di cui è protagonista: "una famiglia il cui zio è Milad". Detto popolare privo di misteri: viene usato per descrivere una famiglia di donne in cui viene a mancare l'autorità maschile, perché chi la dovrebbe detenere è incapace di, o non desidera, farlo. È in questo momento che, dopo giorni di riflessione su sé stesso, il suo ruolo, la propria incapacità di corrispondere a quello che ci si aspetterebbe da lui in ambito sociale, Milad prova, nuovamente e per le stesse ragioni del passato, a porre fine alla propria vita.

#### 1.4.2 Stile, registro, linguaggio e tecniche narrative

Il testo letterario è strutturato nel quadro di un incontro tra il protagonista Milad e una seconda persona, che si evince essere un regista o uno sceneggiatore, che va a casa sua per fargli un'intervista e ascoltare la sua storia, prima di farne una trasposizione cinematografica. Milad racconta la sua storia, attraverso una serie di flashback che non vengono esposti seguendo un filo cronologico ma tematico, come in un flusso di coscienza e spiega la ragione della nascita del detto popolare di cui sopra. Alterna momenti in cui parla del suo rapporto con la moglie, con le sorelle e in generale con le donne della sua vita a momenti in cui racconta il suo rapporto con il pane, la panetteria di famiglia e col padre, "uomo vero" esempio dei valori di virilità di cui Milad non sente di essere all'altezza. Fanno spesso capolino nella narrazione episodi del suo rapporto con il cugino e con gli amici di lui. Difatti, nel contesto di tale flashback costellato e diviso in episodi esposti con una linearità atemporale, lo stesso autore ha dato numeri, invece che titoli, ai vari capitoli: numeri che a volte si ripetono, altre cambiano, a seconda di qual è il macro-argomento, o il periodo della vita del personaggio, a cui egli stesso si riferisce.

L'autore ha scelto di non adottare, tranne in qualche espressione popolare in alcuni dialoghi, il dialetto libico, che, pur dando una sfumatura di colore e restituendo verosimiglianza ai dialoghi, avrebbe potuto estraniare un pubblico non nativo. La narrazione, sia diretta sia indiretta, è quindi espressa in un arabo standard, in cui si può però intravedere la scelta di vocaboli, sinonimi e strutture che si allontanano dal linguaggio arabo standard di alto registro caratteristico di giornali, mass media ed esempi di letteratura classica.

È vero però che, nell'intento di mantenere un registro medio e nella semplicità delle scelte lessicali, che sembrano puntare a una maggiore scorrevolezza testuale e narrativa, fa capolino anche l'utilizzo di strutture che, sicuramente in modo inconsapevole, fanno uso di perifrasi, anche lunghe e ricercate, per esprimere concetti e frasi più semplici. In arabo, lingua in cui anafore e ripetizioni ricche di sinonimi vengono percepite come maestria stilistica, questo

tipo di strutture funzionano bene e sono anzi molto apprezzate. Nella traduzione in italiano, lingua in cui le ripetizioni sono invece, quando possibile, da evitare, bisogna cercare di trovare un punto di incontro perché il testo non risulti ridondante né sintetico rispetto all'originale. Tali scelte stilistiche dell'autore potrebbero essere dovute anche alla sua esperienza lavorativa, trattandosi egli di un giornalista, più abituato quindi all'utilizzo di linguaggio giornalistico rispetto a quello narrativo, anche se, almeno in linea teorica, un articolo di giornale è caratterizzato da frasi brevi e concise in grado di racchiudere più informazioni possibili in un unico paragrafo. Contemporaneamente, il linguaggio ha però, solitamente, bisogno di un registro più tecnico, anche se non necessariamente più alto, che, pena la perdita, in alcune istanze, della capacità di essere diretto il più possibile, fa però sì che non si perda il registro medio e il linguaggio tecnico necessari.

Analogamente vengono utilizzate parole italiane, sia perché dopo anni di occupazione sono entrate nel lessico della Libia indipendente, sia per l'influenza culturale generale che ha reso l'italiano la prima lingua di riferimento, al posto dell'inglese o del francese. Troviamo quindi neologismi come *mutāndiyyāt*, per indicare le mutande, *barrāka*, per riferirsi sia alla "baracca" dei militari, termine ormai in disuso nell'italiano contemporaneo, sia come soprannome della *dépendance* del cugino del protagonista, dove i due passano le serate assieme. Allo stesso modo, si incontra un lessico più o meno tecnico relativo all'arte della panetteria, nell'elenco dei prodotti che venivano sfornati alla *kūsha*, il panificio del padre, che lui stesso ha ereditato dal suo maestro panettiere, un italiano di nome Luigi, a cui tutti si riferivano come "signor Luigi". È interessante notare come l'autore ha scelto di chiamare *croissant*, con la giusta terminologia quindi, quelle che in Italia e, a detta sua, senza dubbi per influenza di quest'ultima, anche in Libia, vengono chiamate brioche o tutt'al più, in alcune regioni, cornetti. Anche il luogotenente della caserma dell'esercito dove Milad va a svolgere il servizio militare ha un soprannome italiano, poiché è in Italia che egli stesso ha prestato servizio militare: "il Madonna", soprannome attribuitogli per la sua abitudine di imprecare e

bestemmiare costantemente in italiano, senza dubbio ereditata anch'essa dal suo superiore italiano.

Il testo è ricco di paratassi, caratteristica della lingua araba e quindi comune a buona parte della sua narrativa, anche se non mancano istanze di strutture ipotattiche.

## 1.5 Note sulle tecniche e sulle strategie traduttive

*Ceci n'est pas une traduction*<sup>28</sup>

Pare che la prima istanza della celebre espressione “traduttore traditore” sia da ricollegare a un passo di un’opera del 1549 di Joachim du Bellay, nel quale il poeta francese si riferisce ad alcuni “mauvais traducteurs, vraiment mieux dignes d’être appelés traditeurs que traducteurs.”. Non conta quanto uno conosca la lingua di partenza e quella di arrivo, quanto uno si sia reso familiare con lo stile e le tecniche narrative dell’autore in questione o con le specificità linguistiche o dialettiche e i registri adottati nel testo di partenza: una traduzione sarà sempre e comunque un tradimento, perché nessuna lingua è specchio di un’altra e questa diversità si nota sempre più, man mano che ci si allontana dall’area geografica e semantica di origine.

Nella specificità di questo testo, tra l’altro, questo è enfatizzato dalla scelta, di cui si è trattato sopra, di adottare strutture e perifrasi che, pur non aggiungendo in sé informazioni alla frase, fanno sì che il testo originale risulti ben più lungo di quello in traduzione, a meno che non si scelga di tradurlo letteralmente. Nel contesto della traduzione letterale, è interessante specificarne il valore, accademico ed educativo più che di intrattenimento, il che la rende un ottimo strumento da adoperare per libri di testo scolastici e per saggi accademici ma ben poco si presta come scelta traduttiva per le opere narrative, in linea di massima. È vero che ci sono linguaggi e linguaggi e alcuni richiedono meno sforzo e lavoro di trasposizione rispetto ad altri anche all’interno dell’ambito della letteratura di intrattenimento. Questo è però uno dei casi una traduzione letterale servirebbe solo ad estraniare il lettore e a rendere la lettura un arduo compito più che uno svago, quale il testo letterario in sé vorrebbe essere, nonostante i temi trattati nel libro spingano a una riflessione socioculturale non irrisoria. Si è comunque cercato di evitare *overtranslations*, ovvero aggiunte e spiegazioni non presenti nel testo

---

<sup>28</sup> Utilizzato da autori e traduttori francofoni quali Hala Bizri ed Éric Houser, riprende la celebre “Ceci n’est pas une pipe” di René Magritte.

originale; allo stesso modo, l'operazione di riduzione delle perifrasi è stata svolta con attenzione a non modificare il messaggio di origine, ma solo a rendere il testo più scorrevole agli occhi del lettore italiano, mantenendo le strutture originarie quando possibile, nell'ottica della coerenza di registro, sintassi e coesione testuale. I nomi propri sono stati resi, per scelta cosciente, seguendo la trascrizione più diffusa nel Paese dove il racconto è ambientato, ovvero la Libia, e non la traslitterazione scientifica, più adatta, così come la traduzione letterale, a testi scientifici e accademici, meno indicata, però, nel caso come questo di testo letterario di intrattenimento in cui una scelta tale, che in questo caso perderebbe la sua utilità, si risolverebbe in una minore fruibilità del testo per gli italiani non arabofoni. Allo stesso modo, nomi di persone, personaggi, e luoghi, di cui è già nota una trascrizione nella lingua italiana, anche se lontana da quella che è considerata la traslitterazione scientifica, sono stati trasposti con tale forma, sempre mantenendo l'obiettivo di donare una maggiore fruibilità al testo. Ciò è stato fatto in un'ottica di resa coerente e di permettere la lettura da parte di un pubblico, più o meno vasto, proveniente da qualsiasi tipo di sfondo culturale e accademico e che si appresti alla lettura di questa traduzione con l'obiettivo misto di intrattenersi e di allargare i propri orizzonti culturali, avvicinandosi a una cultura che è tanto vicina, geograficamente e storicamente, per alcuni versi, quanto lontana per altri, senza che però questo abbia il controproducente effetto di risultare estraniante o di peccare di un orientalismo ormai, si spera, vestigio di un passato di incontro culturale da cui il testo letterario in sé e la traduzione della stessa vorrebbero allontanarsi, per quanto possibile. Si è scelto di mantenere le scelte dell'autore riguardo la suddivisione di paragrafi e capitoli e per quanto riguarda il titolo, o il numero dei capitoli, sulla base del fatto che queste paiono scelte coscienti dell'autore nell'ottica della coerenza rispetto al flusso di coscienza che è il corpo principale del testo, nonostante, in situazioni simili, vengano fatte, a volte, anche se spesso su richiesta delle case editrici e per motivi sicuramente validi, ma, altre volte, per una scelta specifica del traduttore, scelte diverse, quali una differente enumerazione o titolazione dei capitoli o un tipo diverso

di suddivisione del testo. Tale scelta è motivata dal desiderio, come anticipato in precedenza, di rispettare lo stile artistico del flusso di coscienza, che gode così dell'apparente confusione causata dalla numerazione, casuale di primo acchito, dei capitoli, e delle costanti analessi e prolessi del testo. La traduzione, come altre opere artistiche di cui, se non altro nel suo piccolo, fa parte, è un continuo divenire: a settimane, mesi di distanza, si può desiderare di cambiare l'intero testo, comprese alcune scelte. Si potrebbe dire che la traduzione definitiva, o pubblicata, sia una semplice fotografia di un momento dato nel processo artistico di trasposizione e, perché no, anche di creazione, essendo comunque la traduzione di un testo letterario che, come già menzionato, richiede una creazione e un lavoro estraneo alla scrittura del testo originario e non è una semplice resa meccanica e asettica di uno scritto da una lingua all'altra, cosa che risulterebbe comunque impossibile. Questa traduzione è quindi da considerarsi un atto in divenire, in processo di prendere corpo, tramite scelte traduttive, siano esse strutturali, linguistiche, semantiche; non ha la pretesa di trattarsi di un'opera definitiva, ma bensì di un primo tentativo di approccio traduttivo a un testo letterario scritto e pubblicato, senza dubbio, allo stesso modo, ovvero preso in un momento dato del suo divenire, che ha riscosso molto successo tra i connazionali dell'autore e nel resto dei Paesi arabi e che merita di essere reso disponibile anche del resto del mondo, con cui, oggi ancor più che un tempo, la cultura e la società di origine, per quanto dotata di caratteristiche specifiche frutto della propria storia e geografia, è ricca di punti d'incontro, di similitudini, *mutatis mutandis*, e di commistioni socioculturali.

Ovviamente, la scelta tra i vari traduttori delle singole parole importanti è stata fatta con attenzione e sulla base del messaggio che, si presume, l'autore volesse far passare e della coesione e coerenza con resto della frase e del testo.

Allo stesso modo, si è cercato di non andare a modificare lo stile dell'autore, neanche quando si potesse prestare a migliorie, di espressione o di struttura, anche ai fini stessi del messaggio che si cercava di comunicare nella porzione di testo presa in considerazione, per un motivo

ben preciso: si è supposta una riflessione cosciente dietro a tutte le scelte e, qualora anche non vi fosse stata, non ci si è arrogati il diritto di giudicare né di “tradire” in maniera artificiosa il testo.

## Traduzione

### Dedica

A Ahmad Fakrun<sup>29</sup>, il gabbiano sognatore sulla riva del mare.

A Mo Misrati, amico, scrittore, ispirazione e compagno, nella speranza di incontrarci.

All'amico vittorioso, amico mio, mio banchiere, fratello mio e mio consulente emotivo, psicologico, materiale, sociale e regolatore di battute e segreti osceni.

A Salih Alim, poeta e padre spirituale e grande personaggio.

Anche se so che queste mie parole non vi raggiungeranno, vi amo moltissimo e mangio il suolo che calpestate.

A Ramia Ibrahim... senza di te, non sarei riuscito a scrivere quest'opera.

A me stesso, ti dedico questo racconto.

### Il pane

*“Una famiglia il cui zio è Milad”. È un detto popolare diffuso tra i libici, con cui insultano l'uomo che non ha potere sulle donne che lo seguono, e che perciò insulta la morale delle donne stesse.*

#### 1

Oh, ciao! Sei venuto al posto giusto. Ti ringrazio per aver accettato di incontrarci. La signora mi ha detto che ci tenevi a sentire quello che voglio svelare. Non c'è da vergognarsi. Zaynab dorme profondamente. Ho preparato l'atmosfera giusta per il nostro film. Hai scelto un nome specifico? Ah, bisogna riprendere la storia, prima. Non ne so molto, di film. Mi piace vederli, ma l'esperto in famiglia è Abbasi, io sono il panettiere. Ho passato l'ultima ora a decorare una torta all'arancia e limone. Un attimo, che ti prendo una sedia, così ci possiamo sedere insieme in giardino. Tè o caffè? A me piace il tè con un bastoncino di cannella, come me lo faceva Zaynab nei primi giorni di matrimonio.

---

<sup>29</sup> Cantante libico di Benghazi.

Mi sono preparato bene a quest'incontro. Ho pulito casa, spolverato foto, dipinti, mobili, lucidato finestre e lampade, perché fosse tutto pronto per la tua avventura. Mi sono alzato presto e ho iniziato la mia routine. Mi sono messo la camicia che avevo regalato alla signora. Ne ho osservato i dettagli e le linee rosa, incrociate con linee bianche. Mi sono toccato la pelle e ho passato il dito indice e il pollice intorno alla manica, strappando la garza dal mignolo, dopo due giorni di henné.<sup>30</sup> Ho cantato con Cheb Khaled<sup>31</sup> sul destino. Mi è scivolata la mano mentre facevo pressione sulla costola, per controllare che fosse al posto giusto. Per un momento, mi è sembrato di aver contato male: o ce n'era una in meno o era quella che Dio aveva preso da Adamo mentre dormiva. Quando è suonato il campanello, che annunciava il tuo arrivo, mi sono affrettato a indossare la cintura di Abbasi e me la sono stretta. Ad essere onesti, mi aumenta la sudorazione ogni volta che si avvicina un'intervista e, finora, non sapevo cosa dire e cosa dovevo lasciar stare; per cui chiedo scusa, prima di tutto, per qualsiasi problema legato al mio racconto. Dai, andiamo a dare acqua alle piante, a mangiare la torta e a parlare di quello che ti ha detto la signora.

## 2

I muscoli della mia mano erano tesi, mentre provavo un nuovo pane nella confusione dei primi giorni d'estate, con cui scacciavo le mosche di una nuova idea che mi mangiavano il cervello quel pomeriggio. Avevo trovato la ricetta in un vecchio libro di mio padre, scritta in italiano, ancora intrappolata nella biblioteca, unica tra i libri di Zaynab, che collezionava come un topo di biblioteca, fino a che la signora non trovò modo di tradurla. La signora è un angelo divino, sceso a me nei giorni in cui giacevo su un filo che rafforzava la mia autostima come uomo e come panettiere. Avevo provato varie volte a cucinare la ricetta, finché non ero

---

<sup>30</sup> Tintura per tessuti e pelli ricavata dalle foglie macinate di *Lawsonia inermis*, comune in Medio Oriente, India e Nordafrica.

<sup>31</sup> Cantante algerino famoso soprattutto in Nordafrica e Medio Oriente. Esponente della *muscia raï*, genere nato in Algeria e unione della tradizione musicale berbera e araba.

riuscito a produrre un pane esemplare. A volte, avevo problemi per via della qualità della farina. Altre, con la temperatura dell'acqua, la quantità di ore di fermentazione, addirittura con la temperatura di casa. Vari problemi, per cui mi venivano fuori forme e tipi diversi di pane, che buttavo nella spazzatura. Sapevo che non era il pane che volevo. Nessuno aveva il sapore della ciabatta che faceva mio padre, cui né il tempo né l'umore avevano permesso di insegnarmela. Quando la fetta mi riuscì, con un profumo che evocava ricordi della mia infanzia, con un sapore che non sentivo sulla lingua da vent'anni, ho fatto salti di gioia dalla felicità e, in quello stesso istante, è suonato il telefono del salone; quindi, sono corso ad alzare la cornetta. Ma presto il suono mi ha ricordato della conversazione di ieri e mi sono seduto vicino al tavolino del telefono. Mi ero mordicchiato il mignolo tutta la mattina, mentre pensavo a quello che era successo tra me ed Abbasi, ho continuato a mordicchiarlo persino mentre impastavo il pane, il che è raro che succeda. Avevo resistito all'impulso, ma quando era suonato il telefono e avevo risposto la pelle mi prudeva da morire, la fronte mi sudava e ho iniziato a colpirmi il ginocchio con la mano destra. Alla fine, ho alzato la cornetta prima che l'apparecchio si zittisse e, dopo un po' di confusione, sono riuscito a distinguere la voce gracchiante di mio cugino Abbasi, che mi diceva:

— Milad, brutta merda, dove sei andato ieri, eh, sporcaccione?

— Abdussalam?

— No, il suo fantasma, dopo il mal di testa e l'ansia.

— Scusa, mi ero ricordato che dovevo fare una cosa importante.

— Mi hai lasciato senza sigarette.

— Mi spiace, Abbasi, era una cosa davvero importante.

— Beh, non era questo il motivo della chiamata, ti ho chiamato dalla macchinetta e non ho molti centesimi. Ascolta, Milad.

— Ti sento.

Credevo mi avesse fatto una domanda.

— Lo so che mi senti, stupido, ascolta... il motivo per cui ti chiamo è la questione di cui ti ho parlato ieri.

Gli ho attaccato il telefono in faccia. Sapevo quali sarebbero state le sue prossime parole, la nostra relazione era un continuo battibecco sin dall'infanzia, ma era peggiorata dopo che mi aveva detto, per la prima volta, cosa pensava di me e della mia vita, timida, passiva, nascosta dietro il fumo delle sigarette e la magia della boukha<sup>32</sup> alla menta prodotta nella sua Baracca. Ero sfuggito per una settimana alla verità di cui tutti parlavano. Sono tornato alla mia pagnotta. L'ho messa sul tavolo dopo che si era abbassata la temperatura, che faceva ballare il vapore per aria. L'ho aperta lentamente, come un chirurgo, assaporandone il rumore mentre la tagliavo, intossicato dal profumo che riempiva la cucina. L'ho presa e ho esaminato i buchi che avevo fatto. L'ho schiacciata, per vederne la morbidezza e la flessibilità. Ho sorriso quando mi è passato per la mente che a Zaynab sarebbe piaciuta un sacco, ho scacciato la scena che stava prendendo forma nonostante lo portasse dal coltello alla mia pelle, ho portato la mano destra alla testa per scacciare le parole di Abbasi, che mi ronzavano intorno come mosche. Di solito, non vedo l'ora che sia un nuovo giorno, che inizia con i raggi del sole che bussano la mattina alla mia porta. Apro sempre gli occhi all'alba, alle cinque per l'esattezza. Non mi piacciono le finestre chiuse e per questo alzo le persiane al massimo, così che i raggi del sole possano passare attraverso. Inizio a preparare la pagnotta per la colazione. Ci metto un solo uovo, con gli stessi ingredienti, ma aggiungo un po' di cumino, poi friggo il tutto a fuoco lento con olio d'oliva o burro. A volte oso provare a fare una torta oppure preparo l'impasto per croissant. Alle sei e mezza sveglio Zaynab perché faccia colazione. A volte le preparo già i vestiti la notte precedente. Altre, glieli preparo e li stiro la mattina presto prima di svegliarla, dopo aver messo la pagnotta in forno. Perché stiro io i suoi vestiti? Beh, che rimanga un segreto tra me e te, Zaynab non è molto brava a prendersi cura di sé. Lei è bella e buona e ama sé stessa più di ogni altra cosa al mondo, ma vive nel caos più totale. Se la lascio sola a casa,

---

<sup>32</sup> Acquavite di fichi tunisina, il nome in dialetto tunisino significa “vapore d'alcool”.

anche per poche ore, trovo i suoi vestiti sul piano della cucina, dentro al frigo, in bagno, sotto il letto e lei, sicuramente, non sa stirarli. Si sveglia come se la giornata fosse già finita, corre a lavarsi e a prepararsi, fa colazione così velocemente che quasi ci si strozza e non sa che il segreto della bellezza si cela dietro le cose fatte con calma e più serenamente.

La mattina, quando la sveglio, le do un bacio sulla testa e la esorto a prepararsi, poi torno in cucina. Metto l'uovo sui fornelli, preparo la teiera e tiro la pagnotta fuori dal forno perché si raffreddi. Accendo la vecchia radio che un giorno ho comprato al mercato di Rashid, e cerco di allietarmi la mattina con le canzoni di Fairuz.<sup>33</sup> Zaynab adora Fairuz, ma a me non piace molto. La trovo troppo triste, mentre mi piacevano la disco, il reggae e quello che mi capita di sentire del raï. Controllo la temperatura della pagnotta, mentre il vapore esce dalla finestra della cucina, lasciando i miei muscoli in completo relax. Non bisogna mai lavorare la pagnotta quando è calda. Bisogna lasciarla riposare qualche minuto. Non finisce di lievitare mentre è in forno. Dopo la colazione, mi riempio un altro bicchiere di tè e chiacchieriamo un po'. La stuzzico, cercando di distrarla dallo stress di far tardi a lavoro, perché so che odia la mattina, come il resto dei libici. Dopo la chiacchierata, accendo la macchina, una Peugeot 404, modello '69, dipinta di turchese, ereditata da mio papà. Con il tempo, il colore si è sbiadito, così come il suo spirito, che bramava la strada, ma è una macchina accettabile e non posso darla via, nonostante si vendano nuove macchine che mi piacciono molto. Lascio che si scaldi il motore dell'auto, mentre mi accendo la sigaretta della mattina, aspettando fuori Zaynab che purtroppo non è mai riuscita a imparare a guidare. La lascio alla Fondazione, poi torno a casa o faccio sgasare la Peugeot fino in centro, poi passeggiare tra i vicioletti della città o mi siedo per un po' in un bar. A volte devo andare in giudizio, o in qualche posto di lavoro governativo per controllare come va col mio stipendio o firmare la presenza e poi torno a casa. Dipende sempre dal mio programma mattutino, ma di solito faccio tutti questi giri presto, prima delle dieci. Quando torno a casa, lavo i vestiti e le posate della colazione, ordino il salone, la camera

---

<sup>33</sup> Cantante libanese, considerata tra le più famose cantanti dei Paesi arabi.

da letto e qualsiasi altra stanza caduta in preda al disordine di Zaynab. Ed è proprio quel casino che setta il tempo che dedico a ordinare e pulire la casa, perché può durare pochi minuti come delle ore intere e, a volte, ho bisogno di un giorno o di altri due. Mi prendo cura delle piante; in giardino, ho fiori di girasole, dallo stelo corto, che ho ricevuto dalla signora, un albero di henne, che in realtà era di mia nonna e che mio padre aveva ereditato da lei. Ne ho tagliato un ramo e l'ho piantato nella mia nuova casa. Con quest'henné tingo il mio mignolo destro e le mani e i piedi di Zaynab. Nel giardino inferiore ci sono basilico, cactus, menta, rosmarino, timo e violette. A volte, mi incoraggio a liberarmi della mia pigrizia come polvere, e pianto pomodori e ceci. Altre volte, preparo semi di mais e anguria per piantarli in estate, se mi ricordo. Quando ho finito con le piante nel giardino e con quelle decorative nel portico, che si ergono verso il Paradiso per un metro solo, stendo il bucato sul filo. Durante la mia vita, non mi sono mai accorto che le donne odiano stendere il bucato o piegarlo, ma io ho imparato a godere della calma e dell'immersione nei miei pensieri quando lo faccio. Inizio stendendo le mutandine di Zaynab, piccole e delicate, poi le mie e così via. Dal capo più piccolo al più grande. Presto si fa metà mattina, prima di mezzogiorno, preparo la teiera con la cannella, poi passo un'ora o due a guardare la televisione, non c'è molto da guardare con l'antenna, faccio zapping tra i venti canali a mia disposizione, finché non trovo qualcosa da guardare, un replay di una partita di calcio, una serie siriana o le notizie del mondo. Ci sono giorni in cui non guardo altro che il canale della Giamahiria.<sup>34</sup> Guardo conferenze o discorsi del fratello del leader<sup>35</sup>. Quando mi annoio, mi alzo e preparo il pranzo. Esco di casa, vado a prendere Zaynab e pranziamo. Passo la sera a preparare il pane per il giorno dopo o a fare una torta o dei biscotti. Di notte, guardiamo la televisione o le notizie, oppure vado alla baracca di Abbasi e passo un po' di tempo con lui. Questo è quello che succedeva di solito, ma la mia routine

---

<sup>34</sup> Gran Giamahiria Araba Libica Popolare Socialista (*Jamāhīriyya*, neologismo e composto aplogico del plurale *Jamāhīr*, “masse”, e della parola *Jumhūriyya*, “repubblica”, lett. “[regime] delle masse”), nome che Gheddafi diede allo Stato libico nel 1969, in seguito al colpo di stato.

<sup>35</sup> O anche comandante (*Qā'id*), appellativo di Gheddafi durante il suo regime.

quotidiana è stata completamente stravolta da quando Abbasi mi ha detto quello che gli passava per la testa.

1

Eh? Non è così che iniziava la storia che ti ha raccontato la signora? Scusa, mi sono lasciato prendere dall'entusiasmo e non ti ho dato neanche spazio per fare domande! O per cercare l'inizio della storia. Sono sempre così. Mi si blocca la lingua e non so da dove cominciare il racconto. Ma poi, quando inizio a parlare, non mi si ferma più, l'ho imparato dalle mie sorelle. Quindi, partiamo dall'inizio. Mi chiamo Milad Usta. Molti mi dicono che sembro Cheb Khaled quand'era magro. Unico maschio tra figlie femmine, sono nato a Dahra, in uno dei vicoli che danno sulla piazza della Cattedrale. Ci ho passato la mia infanzia, mi sono sbucciato le ginocchia sull'asfalto delle sue strade. Ho visto i romani entrare nella cattedrale, mentre andavamo a scuola le domeniche, e ho visto il suo giardino interno durante i giorni del mio primo amore.

A Dahra, ho mangiato i panini più buoni, ho giocato a calcio, correvamo giù fino alla cornice finché non vedevamo il mare, le cui onde si infrangevano vicino alle nostre case. Questo succedeva alla fine degli anni Settanta, prima che soffiasse il vento del cambiamento, un anno prima che il fratello leader cavalcasse il suo cavallo per liberare il Paese da clienti, traditori, basi straniere, come abbiamo imparato a scuola. Ho fatto la primaria a Dahra, ho cantato l'inno nazionale col petto colmo di gioia nel cortile della sua scuola, ho partecipato a manifestazioni studentesche contro l'America e il movimento sionista e ho celebrato la prima Giamahiria. Quando compì quattordici anni, mio padre e mio zio decisero di tornare nella città natale di mio nonno, il paese di Bi'r Hussein, dopo aver ereditato terreni ampi e belli, adatti ad agricoltura, vita e panificio. È iniziata una nuova vita nel paese che visitavo in compagnia di mio padre per comprare ricotta, soprassata, olive e datteri dai nostri parenti. Mio padre

aveva una casina di cui lo Stato si era appropriato per via della sua posizione, adiacente all'organizzazione che il governo voleva ampliare.

Ho iniziato a giocare con la mia sorellina a quattro anni. A cinque, ho provato a farmi delle amicizie a scuola e nella vita e ci sono riuscito con il caro fratello di Zaynab, prima che ci allontanassimo per delle sciocchezze. A sei anni, ho iniziato a giocare con le mie sorelle più grandi. Ho quattro sorelle: una più piccola di un anno e tre più grandi. A otto anni, ho iniziato ad aiutare mio padre alla cascina. A quindici, mi ha permesso di imparare a fare il pane. Ha aggiunto alle mie mansioni, pulire il pane e portare i sacchi di farina, quella di impastare il tipo di pane popolare più semplice, il "modificato". Quella è stata una delle mie prime pagnotte. A sedici anni è iniziata la mia storia d'amore con la panetteria, dopo che mio padre mi ha iniziato ai segreti della produzione, tramandati dal suo maestro italiano, il signor Luigi, il panettiere. Quando ne avevo diciotto, mio padre si è trasferito nel quartiere di mio nonno, del Profeta e dei suoi compagni, in Paradiso. È morto di cancro ai polmoni.

Il forno ha assistito a eventi politici e sociali nel Paese. Negli anni Quaranta e negli anni Cinquanta i suoi clienti erano italiani, inglesi e maltesi, che compravano dal signor Luigi pagnotte francesi: le baguette avevano bisogno di ore e di tecniche diverse di preparazione. Toast, ciabatta italiana, pagnotte di pane siciliano col sesamo e, naturalmente, brioche. Sentivo storie sul forno "Spighe d'oro" in quel periodo, era una fantasia, gli abitanti di Dahra, etc. non ne avevano provati di più buoni. Mio padre era stato apprendista del signore sino a risolvere il mistero del sapore di questa componente principale del tour gastronomico libico. Il signore provava un amore speciale per la popolazione del Paese, per cui cercava di impiegarla da lui. Papà mi diceva che era "siciliano di origini arabe". Non ho mai capito la relazione degli italiani con noi. In quel periodo il pane era un segno di disparità tra le classi sociali, per cui gli italiani e pochi altri della classe alta libica compravano quelli di lusso, coincidenza, uno dei membri di questa classe era il nonno della signora, che comprava dal

forno di mio padre, mentre il resto del popolo mangiava la muhawwara e il tannur<sup>36</sup> nei mercati popolari del pane. Negli anni Sessanta, con la rivoluzione del petrolio, i libici iniziarono ad amare il pane francese, e un numero maggiore lo poteva comprare quotidianamente, educati, soli, ex-soldati che avevano combattuto e i cui denti avevano perso forza e non potevano masticare il duro tannur beduino. Negli anni Settanta, il signore è tornato in Sicilia e ha ceduto la proprietà del posto a mio padre, che all'inizio diceva che gliel'aveva lasciato solo fino a quando sarebbe tornato, ma poi divenne suo. Abbasi, in un momento di rabbia, una volta, mi aveva detto che mio padre l'aveva rubato. Avevo sentito dire la stessa cosa dal fratello di Zaynab. Mio padre aveva continuato a dare lavoro a qualche impiegato libico e a incoraggiarli a imparare i diversi tipi di pane, fino a quando la decisione del Comandante, che voleva che la gente fosse partner e non impiegata, ha fatto sì che mio padre licenziasse tutti i suoi lavoratori, prima che si ribellassero, incoraggiato da mio zio, il furbetto di famiglia. Il forno ha sofferto della mancanza del personale e io e mio zio siamo diventati i suoi unici impiegati, a parte qualche altro membro della famiglia, distribuito a Bi'r Hussein e nella regione di Bi'r Usta Milad. Pare che il mio bisnonno possedesse tutta la regione, ma che gli italiani gli avessero rubato la terra e l'avessero convertita in una piantagione di mandorla, uva e olive. È rimasto così per un po', finché mio padre ha pensato di assumere tunisini e algerini, che per legge non potevano possedere niente nel Paese. Con l'arrivo dei nuovi lavoratori, la qualità del pane era diminuita e "Spighe d'oro" era come qualsiasi altro forno del Paese. La gente ha perso interesse nelle baguette francesi e nel pane con sesamo: erano difficili da impastare e cuocere, il prezzo di questi era abbastanza alto e il Comandante voleva che i prezzi del pane fossero gli stessi in tutto il Paese, per cui "Spighe d'oro" è passata ad essere da forno aristocratico, o pasticceria artigianale come direbbe mio padre, a forno popolare.

---

<sup>36</sup> O anche tabun, pane piatto popolare levantino diffuso in Medio Oriente e Nordafrica.

La mia storia con il forno è iniziata quando mio padre ha litigato con l'addetto alla pulizia, che avevano chiesto uno stipendio settimanale maggiore: mio padre l'ha colpito e gli ha detto che non si meritava neanche che gli pagasse quello che gli stava pagando e che quello che faceva era sporcare il forno invece che pulirlo. I giorni d'estate, lavoravo a tempo pieno; i giorni di scuola, papà mi dava qualche compito prima o dopo l'orario scolastico. Spazzavo e lavavo il suolo da solo ogni giorno, spolveravo le superfici e lo aiutavo anche a pulire il forno ogni tanto. Avevo imparato i trucchetti della pulizia dalle mie sorelle.

Al forno, odiavo l'impasto caduto e mio padre mi colpiva se ne lasciavo per terra. Ogni giorno e per mesi, mi colpiva o alzava la voce con me. A volte mi dava calci, poi trattava le mie ferite con una pagnotta calda con dentro uova fritte o tonno, che preparava lui. Mio padre era nervoso e non gli piacevano le persone, ma era gentile con l'impasto e lo lavorava con il massimo dell'amore.

Mi ricordo di una cosa che ci era successa: eravamo i soli nel forno, in una torrida alba estiva, il sudore mi colava per il viso, nonostante il sole non fosse ancora sorto, avevo fatto il giro del bidet fino a fermarmi di fianco a lui mentre si apprestava ad infornare il primo lotto, che avevano preparato i lavoratori il giorno prima. L'ho osservato fare gli ultimi ritocchi alle pagnotte, con un coltello molto affilato, concentratissimo, aggiungendo i segni che lo caratterizzavano. Si è accorto della mia smania per farlo, accesa dall'affilatezza della lama, mi ha tirato verso di lui, finché il mio corpo non era avvolto dal suo enorme corpo, e mi ha detto:

— Guarda, questi segni sono la firma del panettiere. Ogni panettiere dovrebbe avere i propri.

— Questa è la tua firma?

— Certo che no, questa è quella del maestro.

— Del maestro?

— Sì, il maestro, l'insegnante della produzione. Il mio maestro era italiano e questa è la sua firma. Di segni come questi non se ne trovano in nessun altro posto in città.

— Non lo sapevo.

— Ovvio che no, sei solo un bambino. Dai, prendi.

— Il coltello? Potrei farmi male.

— Se hai intenzione di parlare come una ragazzina, certo che ti farai male. Su, inserisci la lama lentamente e fai una linea curva sul fianco della pagnotta come quella che ho fatto io.

— E se la rovino?

— E se la rovini? Pensi che quei selvaggi noterebbero la differenza? Sono degli asini, non ne capiscono niente, di panetteria.

— Ci sono.

Quello fu uno dei miei primi veri ricordi sul pane. La consistenza dell'impasto del pane era come di un dolce, piacevole, e affondarci la lama era come tracciare un dito nella sabbia fina. Fu allora che il mio odio nei confronti dell'impasto si è tramutato in amore e desiderio di conoscenza. Ma la cosa più bella sono state le parole di mio padre:

— Un giorno, lo farai tu, il pane.

Mio padre ha avvertito l'intimità della situazione e ha voluto romperla. Ha guardato l'insegna e mi ha gridato:

— Non hai ancora finto di pulirla, asino? Su, a lavoro, voglio che finisca in fretta.

## 2

Cosa? Ho perso di nuovo il filo del discorso? Chiedo scusa, ma che ci posso fare? I giorni più belli della mia vita sono stati alla panetteria e, ogni volta che ci ripenso, mi metto a recuperarne i dettagli senza fare caso al tempo che passa. Forse la signora te ne ha raccontata una parte, dato che le ho detto tutto quello che mi ricordavo di quei giorni. Eravamo a casa sua, le ho insegnato a fare il pane e i dolci e le ho detto quello che sapevo sulla vita di un panettiere. Non ho mai incontrato nessuno tanto appassionato di pane come me, più di Zaynab, alla quale le mie storie sulla panetteria e su mio papà non piacciono tanto; quando parlavo con lei l'argomento principale erano i suoi problemi di lavoro o altre persone, come

quando parlavamo di cosa aveva fatto la nostra vicina per far arrabbiare suo marito, che urlava in giardino come un orco. Ma non ho ricordi di aver parlato con lei su di me a lungo. Lei era il centro e la mia vita girava intorno a lei.

Come ti ho detto, dopo la chiamata con Abbasi, ho cercato di scappare dai miei pensieri e mi sono messo a controllare la pagnotta, la sua dimensione, il suo profumo, la consistenza della mollica. Sono sempre riuscito a scappare. Sono scappato dalla panetteria quando ero ragazzo, dalla scuola, dall'esercito e dalla caserma, sono scappato persino da me stesso. Quel pomeriggio, non sono riuscito a scappare. Le parole di Abbasi mi seguivano, qualsiasi cosa facessi: mentre lavavo le posate in ceramica con varechina e detersivo, i bicchieri, le parole di Abbasi mi passavano per la testa, come mosche, che cercavo di scacciare, ma tornavano mentre lavavo la ciotola dell'impasto, la mettevo sul granito perché si asciugasse e la mia mente continuava a rimuginare sulla questione.

Siccome lavare non funzionava, sono andato a sistemare alcuni vestiti presi dallo stendino, ho steso bene le mie mutande, piegandole precisamente a metà, e ho ripetuto il procedimento per piegare la metà nuovamente a metà; mi sono assicurato che il mio intimo fosse ben piegato, come in un negozio di vestiti. Poi, è arrivato il momento delle mutandine di Zaynab, rosa, circondate da pizzo e ricami di fiori; le ho messe a terra e, prima che mi potessi mettere a piegarle, mi ha colpito un altro pensiero: "e se le voleva mettere a posto lei, queste?", mi chiesto, temendo la risposta. Mi sono affrettato a mettere via i vestiti come ho potuto e sono scappato, o almeno ci ho provato, ma la conversazione tra me e lui mi ha messo alle strette. Dopo che ho messo via i vestiti di Zaynab nell'armadio ho sentito l'odore di un profumo maschile, che avrebbe potuto essere il mio, ma mi sono ricordato di aver buttato nella spazzatura la bottiglietta dopo averlo finito.

— Milad, aspetta un attimo, c'è una cosa importante di cui ti voglio parlare, che ti riguarda.

Era notte. Io e Abbasi avevamo passato la serata alla Baracca, vicino a un fico. La Baracca era stata sotto l'ombra del fico benedetto dall'epoca della prima madre di mio nonno, prima che

il mio bisnonno la lasciasse per sposarsi con un'altra. Un appezzamento di terra semplice, che apparteneva a mio zio Mohammed, insieme a una casa antica che lui aveva demolito per costruire al suo posto una casa più grande e alla moda. Lì ho visto facce che non ho più rivisto. Abbasi ha un carattere comico, che attrae le persone giovani. Ha familiarità con le condizioni del quartiere, i nomi degli abitanti, dagli uccellini ad anziani e alberi. È una stella in quartiere, molti dubitano della sua sanità, ma io non ho conosciuto una mente più sana. Non ha mai lavorato con le proprie mani. Si ribella contro le leggi della società che lo forzano a lavorare. L'unico lavoro che è mai riuscito a ottenere era a casa, al forno. A parte ciò, non l'ho mai visto con un'ascia, una gomma o un raschietto in mano, persino i lavori con cui si mantiene, in alcuni periodi, sono da "invertebrati", veloci, e tutti quelli comodi di cui ha bisogno me li rifila. Si accontenta dello stipendio della Fondazione Stampa, in cui lavora, in teoria, nella sezione amministrativa, anche se ci va una volta sola al mese e a volte sparisce per mesi; non è giornalista e non ha mai finito il liceo. Abbasi è intelligente. Ho sempre voluto essere come lui. Sa come manipolare il sistema e ottenere quello che gli serve. Quella notte, c'era da lui "feticcio-man" (ad Abbasi piace soprannominare i suoi amici con nomi particolari tipo feticcio, ignorante e altri), tra i suoi amici più cari. Era da un mese che passavo la sera da lui, anche se mi attraeva la stranezza dei suoi mondi, mi faceva voler passare quella serata da lui. Passa l'intera serata a bere boukha, distillata una settimana prima, e a raccontare storie, racconti e leggende. Con ogni storia dice: "sei intenzione di Dio, cugino", io sorrido, mi accendo una sigaretta Riadi<sup>37</sup> e bevo un bicchiere di boukha o mi metto a cucinare la pasta per i presenti. Anche quella notte Abbasi aveva deciso di mandare via i suoi amici presto: un suo cugino, scrittore e direttore famoso nel Paese, che da tempo aveva lasciato il villaggio, aveva una capra pazza. I suoi amici avevano parlato della trama del film, che criticava la gente di paese, e non si è astenuto dal menzionarli. Ma dubito che fosse quella la ragione per cui era ubriaco in mezzo alla stanza, fumando la sua sigaretta e alzando il cuscino per mandarli via

---

<sup>37</sup> *Riyadī*, lett. "sportivo", marca di sigarette.

con quello. Lo vedevo sempre che cercava di liberarsi di loro, dirigendo loro insulti personali o dicendo che da quel momento non avrebbe più tollerato che venissero a bere, fumare e mangiare nella sua stanza, e che dovevano pagare un affitto per la serata, sapendo che erano tristi e che baravano per non comprarsi le proprie sigarette. Li mandava via con la scusa che non volevano pagare la posta che avevano messo per giocare a carte. Il giorno dopo, gli amici tornavano amici e tornavano a passare la serata con lui. Prima che io uscissi, convinto di far parte di quelli che venivano mandati via, mi aveva chiamato.

— Che c'è, Abbasi? Ti serve una sigaretta?

— Certo, ho bisogno di qualche sigaretta, ma voglio che tu apra bene le orecchie, cugino. Siediti vicino a me. Boukha?

— No, grazie, ho bevuto abbastanza per oggi.

— Solo un bicchiere, come al solito. Mi piace la tua autodisciplina. Una delle tante cose che mi piacciono di te. La tua autodisciplina, la tua bontà, la tua sportività e le tue sigarette. Ma alcune cose non mi piacciono o, piuttosto, non piacciono alla gente del quartiere e, se ti fidi di me, non piacciono alla gente di tutto il Paese. Sei diventato una barzelletta.

— Una barzelletta? Non capisco.

— Sì, una barzelletta, ho cercato più volte di tenertelo nascosto, per non ferire i tuoi sentimenti, ma ormai sei molto famoso. Ho sentito uno di loro dire, una volta, di Hanadi, tua nipote, quando stava uscendo dall'università con addosso dei pantaloni, “una famiglia il cui zio è Milad”.

— Una famiglia il cui zio è Milad? Cosa vuol dire?

— Vuol dire che la gente qui ti vede come un cornuto senza gelosia, so che tua sorella fa di tutto per crescere i suoi figli da sola, ma la tua autorità dov'è, Milad? Ora sei tu al posto di suo padre. Sei tu il padre di famiglia.

— Mia nipote? Ma lei è una ragazza rispettabile, quando cammina per strada ha sempre lo sguardo rivolto a terra.

— Sì, ma indossa i pantaloni e va all'università a studiare nella facoltà di arte e comunicazione. È una facoltà piena di buffoni, ho paura che venga sfruttata dagli indecenti, non sei preoccupato per lei anche te?

— Sì, ma mi fido di lei, così come si fida di lei sua madre.

— Vedi? Per questo volevo essere onesto con te, cugino, il signor Mohammed, che Dio ne abbia pietà, non è soddisfatto della situazione della tua famiglia. Mio papà ha cercato di persuadere tua sorella Sabah ma lei l'ha cacciato di casa, ti pare possibile? Cacciare di casa un uomo anziano?

— No e gliel'ho detto, non importa il motivo, lui è suo zio e non è giusto alzare la voce con lui, anche se si sbaglia.

— Sì, mio papà sta bene, ma non si sbaglia. Milad, apri la mente un pochino. Ti prego, toglì la paglia dal pagliaio, metti da parte la tua solita stupidità e concentrati con me, siamo della stessa famiglia e qualsiasi insulto a un membro della famiglia è un insulto alla famiglia intera.

— E il forno?

Ho detto, il viso in fiamme.

— Il forno, cosa?

— Tuo padre me l'ha rubata.

Ho detto, e me ne sono andato.

Era la prima volta in cui Abbasi era stato onesto con me. La settimana prima dell'onestà brutale, in cui ho deciso di non tornare più alla Baracca. Sono tornato?

Ah, mi ero dimenticato una cosa, torniamo all'inizio.

**1**

Nel forno ero stato cresciuto con i valori di pazienza, gentilezza, concentrazione, rispetto per il tempo e ho imparato il potere dell'osservazione. Mi ricordo ancora della mia prima pagnotta. Come al solito, stavo osservando da lontano, col mento sul bancone, mio padre,

immerso nella sua relazione d'amore. Stava spolverando con la mano la farina caduta e lasciando l'impasto lievitare con calma. I raggi del sole entravano dalla finestra di vetro del tetto, formando ombre nel posto e incrociandosi con la farina sparsa per l'aria dalla sua mano. Aveva sentito l'acqua tiepida che scorreva, mentre guardava i raggi che danzavano con il pulviscolo bianco, poi li aveva puliti con il tovagliolo preposto e, accorgendosi della mia presenza e del mio interesse verso quello che stava facendo, mi aveva chiamato:

— Milad, vieni qua, porta un chilo di farina e un po' di Khadduja, c'è un piccolo vaso che ti ho preparato.

Sono corso come un ragazzino felice che sa che i prossimi minuti della sua vita li avrebbe pagati a peso d'oro. Ci sono momenti che vivi con tuo padre in cui, a prescindere dalla sua rudezza e dalla sua crudeltà nei tuoi confronti o dalla mancanza di dimostrazioni d'affetto da parte sua, sai che sono dichiarazioni dell'amore che arde nel suo petto. Tutt'ora, quando faccio una pagnotta, sento mio padre e vedo le sue mani enormi, segnate, di color bronzo con puntini di farina, mentre mi insegna a fare la mia prima pagnotta.

Ho portato la farina e un pochetto di Khadduja, il lievito di cui mio padre si prende cura quotidianamente dagli anni Quaranta, che è stata una delle sue prime missioni nella produzione del pane sotto l'insegnamento dell'italiano e che ai tempi si chiamava Valentina, e sono corso, danzando, verso di lui. Gli ho passato gli ingredienti, lui si è tolto il grembiule e me l'ha messo. Sembravo un topolino al suo interno, magro e gracile, ci mancava poco che ci potessi danzare all'interno.

Mi ha fatto sedere su una sedia prima di iniziare. Lui era in ginocchio e mi fissava. Mi ha preso una mano tra le sue. Stava provando a comunicarmi quello che provava.

— Sai cosa c'è di divertente nel fare pane?

— Cosa?

— Hai quattro ingredienti con cui puoi fare l'impasto. Non c'è un cibo tanto basilare quanto il pane, né uno così buono. Puoi dargli varie forme e gusti. Con quattro semplici ingredienti che puoi trovare ovunque ti trovi. Hai solo bisogno di farina, acqua, lievito e un po' di sale.

— Come?

— Il segreto è qui —, aveva detto indicandosi il petto, — e qui —, si era indicato la testa, — e qui — e si era indicato le mani. — Per quanto riguarda la mente e le mani, migliaia di forni possono usare lo stesso metodo, gli stessi dettagli, ma tu preferirai un pane a un altro. Qual è il segreto? Il cuore, Milad. Alcuni non ci mettono amore. L'amore è il quinto ingrediente. E qual è il sesto?

— Ehm... il forno?

— No, bambino scemo, il forno non è che uno strumento. È l'aria che respiriamo: il pane, nella fase di impasto, è un essere vivente come noi, che respira, si muove, è pieno di sentimenti; l'impasto si può arrabbiare e perderesti il pane. Può crescere bene, può crescere male.

— Ok, farina, lievito, acqua, sale, amore e aria. Sono pronto.

— No, non sei pronto, c'è un ingrediente segreto, che è quello che dà un sapore diverso al pane. Riesci a immaginarti qual è?

— Qual è?

— Il tempo. Il tempo che l'impasto impiega, nel momento successivo a che l'hai lavorato, è molto importante. Dev'essere davvero preciso, ogni tipo di pane ha un tempo specifico in cui il sapore si forma al suo interno. Non lo devi infornare prima che tale tempo sia passato. Ed è meglio non infornarlo dopo troppo tempo. Il pane è come noi, potrebbe disidratarsi.

— Noi ci disidratiamo?

— Sì, per questo beviamo ogni giorno.

— Posso aggiungere acqua all'impasto se si secca?

— Certo che no, non è come noi in quel senso, l'acqua iniziale del pane è l'unica che gli si aggiunge.

— Ok, c'è altro?

— Solo un'unica cosa: ogni tipo di pane ha delle quantità specifiche. Prendi in considerazione la quantità di cui hai bisogno, e prendi come punto di riferimento la farina per calcolare il resto degli ingredienti. Avete imparato la percentuale in classe di matematica?

— Sì, all'inizio ho fatto fatica a capirla, ma poi ce l'ho fatta.

— Allora capirai facilmente quello che sto per dirti. Milad, figlio mio, ascoltami bene. A partire da domani, vieni al forno portandoti dietro sempre penna e quaderno. Sei mio figlio ed eriterai metà di questa panetteria insieme a tuo zio, per cui dovrai anche ereditare le mie ricette di pane speciali. Tuo zio è un uomo d'affari, l'unica cosa che gli interessa è il denaro. È mio fratello e lo conosco. Perciò, sarai tu a doverti preoccupare della qualità del pane. La seconda è molto più importante del primo. Non importa se un panettiere ha una panetteria propria, l'importante è che abbia delle proprie ricette. Questo è ciò contraddistingue un panettiere di qualità. Io ho ereditato alcune delle mie ricette da una persona che conoscevo, le altre le ho create io sperimentando.

— Dove sono le tue ricette?

— Qui, nella mia testa.

Conservo ancora quella conversazione nel mio cuore, immagazzinandola, tirandola fuori e rimettendola dentro me stesso un migliaio di volte. Avevo preso un chilo di farina e l'avevo rovesciato sul banco di lavoro, ci avevo aggiunto il sale e avevo mescolato finché non era scomparso tra la farina.

— Fai una fontana, così.

Aveva detto, e si era passato il dito indice e il medio nella farina.

— Non mischiare direttamente il lievito col sale, sono come l'uomo e la donna.

Ha mosso la mano fino a creare una fontana.

— Il lievito si mescola prima con l'acqua, hai prima bisogno di sapere se è vivo oppure no. Se hai dubbi, lascia che si mescoli con l'acqua e dagli qualche minuto. Se fa delle bolle, perfetto.

Ha continuato a spiegare, mentre mischiava Khadduja con due terzi dell'acqua della farina. Poi ha versato un pochino del miscuglio e l'ha mischiato con la farina. È andato avanti così fino a dare forma all'impasto. Poi ha preso il mio impasto, ci ha messo sopra il palmo della mano e ha iniziato a impastarlo.

— A volte, lo devi impastare bene fino a dargli una buona forma. In alcune ricette non serve, ci penserà il tempo a impastarlo al tuo posto, poi l'impastatrice ti toglierà un po' di lavoro ma, se vuoi essere come me, non dipendere troppo da questa. Il panettiere capace sa come fare il pane senza bisogno della macchina. Bene, ora lasciamo che respiri l'aria, lo copriamo con un telo, così respirerà solo l'aria della ciotola. Troppa aria lo secca, poca rischia di ucciderlo. L'amore che gli dai non si deve limitare al controllo della respirazione e a tenerlo d'occhio, ma anche a fornirgli la giusta atmosfera, pensa a quello che lo renderà perfetto, completo.

Abbiamo passato quella mattinata ad aspettare che l'impasto lievitasse. Mio papà mi ha fatto sedere di fianco a lui, come se fosse giunto il momento di passarmi il suo testamento. È stato il giorno in cui ha sigillato il mio ingresso nell'età adulta. Ha messo una teiera sul fuoco e dato un incarico al caposquadra. Mio zio lavorava nella seconda metà della giornata, per questo il caposquadra Ikhmis si era trasferito a Usta da Tustur in Tunisia e anche lui era cresciuto imparando a fare il pane.

Mi ha fatto sedere e ha tirato fuori due sigarette e me ne ha data una. Ero ancora un adolescente a quei tempi: la mia mano ha esitato nel prendere la sigaretta e continuavo a fissarla con cautela. Mi ha detto:

— Su, fuma, fumare davanti a me è certo meglio che farlo con gente che non conosco.

— Non mi piace fumare.

— Non mentirmi, figliolo, in questo periodo ho notato che mancano sigarette dal mio pacchetto. Rubare e mentire sono peccati peggiori che lo stesso fumare. Capito?

— Ok.

In effetti, in quel periodo rubavo sigarette dal suo pacchetto, una volta ogni tanto. Fumava le Sport, quelle che ora chiamiamo Riadi. Ho acceso la sigaretta con mano tremante. Mio papà era quel tipo di persona che accettava di tutto tranne il furto e le bugie. Si mise a fumare, contemplando la scena: noi, seduti davanti alle porte della panetteria, un venerdì mattina. Dall'altra parte della strada c'era un'oasi di splendide palme che si ergevano come mura intorno al giardino dei suoi nipoti: non ho mai mangiato arance buone come quelle di quel giardino, prima che le costruzioni in cemento si estendessero fino a circondare il posto, come si può vedere ora, fino a sradicare gli alberi di arance. Il sole stava salendo lentamente verso il tramonto, così come saliva il mio rispetto per mio padre. Quando ho fatto il primo tiro, mi è tremata la mano, e sono riuscito a stare fermo a contemplare il suo viso, che mostrava stanchezza accumulata da giorni.

— Non rubare o mentire mai, Milad, vivere come sei è meglio per te del mondo e di quello che c'è quando sei bugiardo, ladro, imbroglione o ipocrita.

Così ha detto, poi è andato avanti raccontando la sua prima esperienza con la panetteria. Mio nonno era amico del signore italiano che lavorava con lui nella sua piantagione di grano e olive. Il signore ha trovato papà, che aiutava nonno negli affari della piantagione, l'ha preso da lui e gli ha detto che sarebbe andato con lui in città per insegnarli il mestiere del panettiere. Mio padre aveva quindici anni al tempo. Passò a raccontarmi della sua meraviglia al vedere la città per la prima volta e che, da allora, si era dimenticato di tornare al piccolo villaggio. All'inizio, tornava due giorni alla settimana, poi una settimana al mese, poi un giorno, poi, ha sposato una sua cugina, mia madre. Viveva in città, a Dahra, dove vivevano anche gli italiani, che gli hanno insegnato la loro lingua; si vestiva come loro, andava nei cinema loro affiliati, fumava le loro sigarette e beveva il loro caffè. Faceva amicizia con arabi, maltesi, italiani ed ebrei: il suo lavoro era di panettiere e vendere lo aiutava a stringere amicizia.

— Chi è abituato al tuo pane, ti cerca quando ha fame. Se ti abitui al tuo pane, se ne abituerà la gente, Milad.

— E questo cosa vuol dire?

— Lo capirai quando sarai grande. L'importante, figlio mio, è che ho notato una debolezza in te, devi farti uomo. Le tue sorelle avranno presto bisogno di un uomo al loro fianco. Io sono cresciuto, imparando a sopportare il calore del forno e il lavoro notturno.

— Io sono sempre al loro fianco, chiacchiero con loro, l'altro giorno Safah mi ha anche insegnato a fare le trecce ad Asma.

— Cosa? Santa pazienza. Idiota di un figlio, tu sei un uomo e un uomo non si può sedere con le donne. Sono come sale e lievito, lo capisci? E sei pure arrivato a toccare i capelli di tua sorella.

— S-s-scusa, non volevo.

— Cos'altro fai con loro?

— Nie-nient'altro.

— Cosa ti ho detto sul mentire?

— Scusa. Sì... Mi siedo con loro, le ascolto parlare dei vicini, della vita nel giardino, cuciniamo torte e compro loro gli assorbenti.

— Cosa? —, ha detto mio padre.

Quel giorno mi sono beccato lo sganassone peggiore della mia vita, peggiore persino di quelli del Madonna e delle sue botte. Mio padre mi ha tirato a sé e mi ha detto che dovevo fare l'uomo e rinunciare alla compagnia delle mie sorelle, "solo un tutore o un padre può stare in loro compagnia", e mi ha anche detto che voleva vedermi alla panetteria durante il giorno, che avrei studiato e fatto i compiti lì e che non sarei tornato a casa se non per dormire, mangiare o necessità domestiche. Potevo leggere nei suoi occhi la sua delusione e il rimorso di aver generato un figlio come me, come se fosse lui la causa principale. Aveva provato a darmi un fratello, ma Asma aveva rovinato i suoi piani. Sarebbe dovuta nascere maschio, ma in famiglia nascevano solo femmine. Papà aveva sei sorelle. Lui era nel mezzo e aveva solo un fratellino, che era il minore. Mamma mi ha raccontato che i miei nonni erano gli unici due

maschi del mio bisnonno tra quindici femmine in due matrimoni. Per questo papà era suscettibile alle donne. Da un lato, aveva sperato che non gli dicessi quello che gli ho detto; dall'altro, incolpava sé stesso, il sangue che scendeva a rivoli tra le fessure nascoste della sua pelle secca per il calore del forno. L'unica cosa che ha interrotto il silenzio che era sceso tra di noi è stato l'allarme che annunciava che l'impasto era pronto per essere lavorato.

## 2

Quel giorno ho dovuto intuire le leggi che la nostra società aveva concordato di far entrare in vigore, tra cui il fatto che la spontaneità di dire cosa ti passa per la testa può risultare pericolosa per te e per chi hai intorno. Ho imparato la lezione sbagliata, ho imparato a stare zitto, perché a quei tempi non volevo tradire la volontà di mio padre di evitare bugie e omissioni. Ho provato più volte a sconfiggere le mie abitudini, imparate dalle mie sorelle da quando ero piccolo, ma senza riuscirci. Una volta ho picchiato la mia sorellina solo perché ho trovato una lettera di uno dei ragazzi che studiavano con lei a scuola, ma quando ho smesso, quello che avevo fatto mi ha fatto sudare per via del mostro che si nascondeva dentro di me. La vita è difficile nel nostro Paese. Una volta, la signora mi ha detto che le donne dei paesini in Libia hanno una brutta vita. Mi ha raccontato storie di donne che conosceva che venivano picchiate, stuprate, uccise o che soffrivano di disabilità permanenti causate da fratelli e padri, solo per il fatto di essere donne, e ho capito che la questione era reale. Io non sono colto, né intellettuale; ho cercato varie volte di diventarlo, leggendo i libri di Zaynab, ma non ce l'ho fatta. La mia comprensione della vita e delle difficoltà che vive la donna non è maggiore alla mia esperienza personale, alla mia organizzazione con le mie sorelle e al mio rifugiarmi nei miei pensieri e, forse, nel mio concentrarmi sui dettagli. Non starò a disturbarti elencandoti la quantità di volte in cui ho pianto perché non potevo essere un vero uomo come voleva mio padre. Quante volte ho sentito qualcosa di cattivo dentro di me, un'anima malvagia, un diavolo, un demone che mi indossava, cercando di eliminare la mia mascolinità. Anche se,

però, non ho mai capito perché l'interesse di un qualche uomo verso gli assorbenti dovrebbe essere qualcosa di disonorevole. Me ne sono lamentato ripetutamente durante le mie preghiere a Dio, chiedendogli di guidarmi alla verità.

Nei giorni prima della mia seconda conversazione con Abbasi, ho passato il tempo a cercare una via di fuga dai guai, e ho trovato una soluzione con cui mi sono convinto. Vivevo in un cerchio di fuoco da cui non c'era via di fuga, se non buttarmi; era il mio secondo tentativo di suicidio. Quella notte ero tornato a casa cercando di trattenere le lacrime, che volevano sgorgare. Durante il tragitto di ritorno, volevo solo essere stretto tra le braccia da Zaynab e lamentarmi con lei della crudeltà del mondo. Sono entrato, ho acceso la luce e l'ho cercata, ma non l'ho trovata in casa. Ho cercato di ricordarmi se mi avesse detto che avrebbe mangiato a casa dei suoi o no. Mi stavano tormentando dubbi su di lei, cosa poteva star facendo in quel momento? Era la persona a me più vicina e sapeva che non dubitavo mai di lei; perciò, avrebbe potuto tradirmi facilmente senza che me ne accorgessi. Mi sono buttato sul letto con addosso i vestiti che emanavano odore di sigarette e alcool. Ho provato a dormire ma non ci riuscivo. Mi rigiravo ogni volta che i miei pensieri si presentavano sotto forma di una donna nuda che cercava di sedurmi. Mi sono alzato e sono andato a cercare nel magazzino una corda. Lanciavo le cose per terra mentre la cercavo. Alla fine, l'ho trovata. Era tanto dura al tatto che quasi mi feriva il palmo. Ho preso la corda, sono andato in salotto e l'ho legata al candeliere. L'ho afferrata con la mano e ho tirato per controllare che non si sarebbe rotta: avevo visto una volta alla tele dei tentativi di suicidio falliti, in cui la causa del fallimento era la debolezza della corda. Sono salito su una sedia di plastica. Ero terrorizzato. Sono rimasto lì, fermo, per mezz'ora, esitando. Ho pensato a quello che aveva detto l'anziano durante una preghiera del venerdì, che i suicidi non andavano in Paradiso. Avevo paura che Dio non mi avrebbe accolto. Ho provato più volte a parlare con lui e lui mi aveva voltato le spalle. Avevo pensato a lungo al suicidio e per le ragioni più insignificanti. La prima volta in cui ho pensato di suicidarmi ero nell'esercito, poi quando Zaynab si era rifiutata di parlarmi per tre giorni. Per non pensare

al divorzio mi sono rifugiato nell'idea di terminare la mia vita. Quando ho deciso, finalmente, di mettermi la corda intorno al collo, mi sono fatto la pipì addosso. Quest'orinazione involontaria s'infiltrò nei jeans, i miei preferiti, e volevo morire con quelli addosso. Ma, ora, erano bagnati e avevo le gambe calde. Ero disgustato dalla mia pipì e ho alzato il piede per non bagnare il tappeto che era sotto di me. Mi sono ricordato che l'avevo lavato una settimana prima e spolverato quella stessa mattina. Non volevo sporcarlo così velocemente. Ho pensato che fosse il caso di cambiarmi i pantaloni. Avrei dovuto lavarli di nuovo. Il problema era che lo sciampo era quasi finito e sarei dovuto andare in negozio a comprarne una bottiglietta nuova. Il mio cervello era ancora intontito per l'alcool. Mi erano venute vertigini per l'odore della pipì. Sono sceso velocemente dalla sedia per non sgocciolare pipì sul tappeto. Ma mi ero dimenticato che la corda era ancora intorno al mio collo. Ero appeso al cielo, ho cercato di liberarmi della corda, stretta attorno al mio collo, ho mosso piedi e corpo verso giù per scendere dalla sedia, non volevo suicidarmi così. L'eroe si ferma, la strada è chiusa; sente l'oscurità, ha deluso Dio e sé stesso e si arrende alla gogna. La musica drammatica aumenta da dietro le quinte, si arrende alla corda. Non vede altro che i suoi piedi, che cercano di muoversi, fino a che non si fermano. Era quella la scena nella mia mente, prima di farlo, ma mentre stava succedendo provavo amarezza in gola, e tutto quello a cui potevo pensare era che non volevo che Zaynab mi trovasse così, con il pungente odore di urina, e poi che lei si dovesse ritrovare a lavare il tappeto dopo di me. Ho cercato di liberarmi della corda senza riuscirci. All'improvviso ho sentito lo scricchiolio del soffitto, è caduto il candeliere e mi ha colpito in testa. Mi ha intontito. Mi sono liberato e ho passato il resto della notte sdraiato sul tappeto. La mattina dopo, anche se il lampadario non era più sulla mia testa.

Quando mi sono alzato, la voce di mio padre mi risuonava in testa: "stupido bambino." Ho passato l'intera giornata a mettere a posto quello che potevo. Ho chiamato la famiglia di Zaynab. Ho sentito la voce di sua madre che diceva che non stava bene e che era svenuta a lavoro per via dello stress. Mi sono preoccupato per lei e mi sono sentito un egoista: mia

moglie era malata, a casa dei suoi, e io non ero lì con lei, ma stavo pensando a porre fine alla mia vita senza il suo permesso.

Quel giorno le parole di Abbasi mi avevano preoccupato. Non aveva mai osato dirmi una cosa del genere, mai. L'avevo sentito parlare di me più di una volta, mentre io ero fuori dalla Baracca. Si era anche, di fronte a me, preso gioco degli uomini che controllavano la propria moglie. Una sera, ero fuori dalla B. e mi ero dimenticato le chiavi di casa, per cui mi ero seduto. Era una scura notte d'autunno. Sono rientrato e ho sentito le risate dei suoi amici che rimbombavano nel posto. Mi sono avvicinato alla parete di latta per sentire brutti racconti su di me. Una di queste riguardava un episodio della mia infanzia di cui mi ero dimenticato. La famiglia di mio zio era riunita a casa nostra. Abbasi ci aveva detto che aveva scoperto un nuovo gioco chiamato "sposo e sposa", preferibilmente giocato tra ragazzi e ragazze. Quando abbiamo costruito delle case con i pezzi di scope sparsi nella piazza, ha deciso di giocare a "sposino e sposina" con Asma. A me ha chiesto di essere il marito di sua sorella nel gioco, che viaggiava a un posto lontano: ho fatto finta di andare in bagno per assentarmi e, in quel momento, ha rinchiuso mia sorella nella sua casetta fatta di scope e ho visto coi miei occhi che le toccava le parti intime. Gli ho chiesto cosa stesse facendo e ha risposto che stavano giocando. Quando ho voluto fare la stessa cosa con sua sorella, mia moglie, mi ha detto che ora mi toccava far finta di divorziare da lei dopo che era scoppiato un litigio tra di noi.

Io, fermo davanti alla Baracca, l'ho sentito assaporare il racconto, ripetere la cosa e ogni volta con una storia diversa. Ero lì, fermo, che piangevo, al bordo della Baracca, e ascoltavo le sue parole. Quella notte, come ogni notte, ho portato con me la mia umiliazione, come un bambino si porta dietro un giocattolo, di legno e metallo, fuori da questo mondo oscuro, e ho pianto. Sono tornato il giorno dopo, la settimana dopo, il mese dopo per scordarmi tutto quello che era successo. La signora mi ha detto che la mia relazione con Abbasi non era sana e che mi dovevo liberare del mio attaccamento a lui. Non era mai stato mio amico e dovevo cercare qualcuno come me. Ma non ho mai avuto il coraggio di lasciarlo, soprattutto perché

era gentile con me, quando viaggiava per il mare, il deserto o nelle notti di vendemmia nella fattoria di suo padre, quando mi portava con lui. Certo, cucinavo e pulivo io in viaggio e a volte gli compravo le sigarette, ma la sua compagnia mi sollevava dalla pesantezza della vita. Vivevo con le sue barzellette e i suoi racconti di fantasia, la sua capacità di recitare, il suo amore per la vita e i soprannomi che dava alle persone; la sua capacità di imitare, vestendo i panni di un'altra persona per far ridere chi era con lui, le espressioni con cui se ne usciva quando meno te l'aspettavi, il suo vocabolario di storie popolari e di paura. Di notte ci sedevamo ad ascoltare Nass El Ghiwane<sup>38</sup>, Ahmad Fakrun e Mizdawi<sup>39</sup>, o guardavamo un film, bevendo la miglior boukha alla menta o succo d'uva invecchiato a Tripoli sulla costa del lungo Paese.

Di mattina, davanti allo specchio, vedendo la tacca lasciata dalla corda sul mio collo, sono sprofondato nei miei pensieri. Ho riavvolto il corso della mia vita, gli schiaffi di mio padre, la sua insistenza, due anni dopo, che mi dovessi arruolare nell'esercito, il mio matrimonio con Zaynab, gli avvenimenti che hanno rovinato l'umore del nostro matrimonio negli scorsi anni. Il mio viso si è rimpicciolito come se il sangue mi fosse stato succhiato via.

— Cosa farò ora? Non c'è altra via di fuga se non la morte.

Mi sono detto allo specchio, cercando una risposta nel viso corrucciato davanti a me. Ho sospirato: era possibile recuperare la mia mascolinità? E come potevo farlo? C'erano solo due opzioni: recuperare la mia mascolinità, o porre fine alla mia vita. Continuare con la frivolezza e resistere alla vita e alla società che mi circondava era inutile. Mi sono detto che non avevo mai ricevuto un addestramento sull'essere un uomo. L'unica cosa che avevo ricevuto erano le parole di mio padre e i suoi tentativi di rifilarmi all'esercito. L'esercito aveva avuto effetti negativi sul mio modo di pensare: i suoi standard della mascolinità erano quelli della società. La mascolinità non deriva da quanti conigli in mano e se li mangi crudi, non viene dalle ore

---

<sup>38</sup> Gruppo musicale marocchino, genere world music (misto di pop e musica tradizionale)

<sup>39</sup> Musicista libico di Tripoli.

passate sotto al sole a far la guardia. Ecco Abbasi, l'esempio dell'uomo, che era fuggito per tutta la vita dal servizio militare. Abbasi, l'idea mi passò per la testa, potrebbe forse insegnarmi a essere un uomo?

1

Fermiamoci un momento, direi che abbiamo bisogno di un altro giro di tè. Ho bisogno di un'altra fetta di torta arancia e limone. Vuoi vedere la cucina? Dai, entra. Ti chiedo di far piano, però, non voglio svegliare Zaynab, è esausta dalla vita e dai suoi problemi.

Questo è il salone, ci abbiamo messo un'intera estate a metterlo a posto. Zaynab ama l'arte, è cresciuta in una famiglia di artisti. Suo zio è un artista famoso nel Paese, è morto sdraiato, con due bottiglie di whiskey e i suoi quadri nel suo appartamento in via Omar Mukhtar, il suo cadavere in putrefazione è stato salvato solo dalla sua puzza che ha raggiunto i vicini. Dopo la sua morte, la sua famiglia voleva gettare i suoi quadri nella spazzatura, in onore del padre di Zaynab, che li riteneva la causa della morte di suo fratello. Era un padre semplice. Si era buttato nella vita lavorativa, lontano dai problemi dell'arte e della sua famiglia. Zaynab, invece, aveva radunato tutti i quadri e li aveva immagazzinati. Quel quadro? Zaynab dice che l'uomo che indossa una maschera mi assomiglia. Il collo era più lungo del normale e le sue fattezze non erano prive di fascino femminile. Suo zio le aveva raccontato la sua storia. Era riguardo un suo amico, che era morto per l'oppressione e la paura della sua famiglia, che l'aveva cacciato finché non avesse abbandonato il suo sogno di diventare un artista. Non ho mai capito la somiglianza tra me e lui. In mezzo al giardino, puoi vedere la bici di mio padre legata alla parete. Zaynab ha idee strane, voleva fare quello che le andava, dopo aver vissuto nel vecchio appartamento che mi aveva comprato mio padre quando aveva stabilito la casa di famiglia. Ha detto che la bici le ricordava il suo semplice sogno di tornare a casa ogni giorno in bici. E che le sarebbe piaciuto ricordarsi di quel sogno. La cucina è la mia opera d'arte. Una parete intera dedicata a foto del vecchio forno. Siamo riusciti a ingrandire le foto. Sai che

alcune risalgono ai giorni del signor Luigi? Quella è la sua foto, con in mano un vassoio di pagnotte e dietro gli operai. Il ragazzo basso che gli sta appiccicato è mio padre. Mio padre amava la foto, aveva ereditato da lui anche il fotografo. Stava seduto davanti al forno, fumando una sigaretta Regina, alla fine degli anni Cinquanta. Nella foto c'è mio zio da giovane che beve una Coca-Cola. Quando i miei nonni sono morti, durante il pellegrinaggio, mio padre ha portato il suo fratello minore con sé a casa e l'ha cresciuto con mia sorella Saliha. Col tempo il signore ha accettato di assumerlo come addetto al magazzino e alle pulizie. Mio padre amava il signor Luigi ed era come un figlio per lui, mi ha detto un vicino, una volta, che voleva fargli sposare sua figlia Fatima (il signore amava i nomi arabi), ma la ragazza era morta di una malattia incurabile a otto anni. Assomigliava a un fiore di buganvillea, ma non ho ancora trovato una sua foto. In una foto, che ho trovato vent'anni dopo, puoi vedermi nella nuova panetteria, che metto in forno una pagnotta di esotica per un cliente. Erano bei giorni, posso ancora sentire l'odore dell'esotica, appena uscita dalla panetteria. Ho progettato gli armadi alla maniera tunisina, dopo che io e Zaynab abbiamo passato un'estate lì: Tunisi ci ha ispirato. Per un po', ho amato i film tunisini di contrabbando. Quello che mi attraeva di quei film erano le scene di cucina. Ai tunisini piace mettere una tavola di legno bianca, con sopra, a volte, un pezzo di granito, in mezzo alla cucina, e sembra che i loro armadi bianchi siano stati piantati nella parete. Durante la nostra luna di miele, io e Zaynab abbiamo comprato stoviglie e posate, siamo stati nelle spiagge della città di Hammamet, abbiamo passeggiato per i vicoli della città antica della capitale. È un viaggio che è rimasto impresso nella memoria. Questo è il mio forno personale, ne ho due in casa. Uno è esterno e, a volte, lo accendo per stendere meglio pizza e tajine<sup>40</sup>; quello di casa, interno, non è pratico per molti piatti, soprattutto non per la pizza. L'ho imparato lavorando nella pizzeria "Nasser" a Dahra. E questo è il mio bancone di lavoro. Volevo averne uno largo e lungo per poterci impastare sopra il pane con facilità.

---

<sup>40</sup> Tipo di pane di origine berbera che prende il nome dalla ciotola in terracotta in cui viene cotto.

Adesso, però, ti do un po' di torta arancia e limone, che ho imparato a fare dalla signora. Non c'è niente di meglio del sapore amaro nel cibo. E questa... questa è Valentina, il mio lievito madre: la fatica di crescerla ha iniziato a dare i suoi frutti una settimana fa. Purtroppo, Khadduja non è durata a lungo, per motivi che poi ti dirò, mentre Valentina mi ha torturato, ho provato a farla germogliare per tre volte, ma ogni volta la ricetta andava perduta. Il lievito è piccolo, ma dipende completamente da quanto ti interessa farlo e dal grado di calore che conserva al suo interno, perciò l'estate è sua nemica. Per ben due volte il calore non mi ha aiutato. Solo oggi sono riuscito a farci del pane. Che ne pensi? È bella, no? Il suo profumo è gentilmente amaro per il naso. E questo è il grembiule che indosso quando entro in cucina. Mi è piaciuta l'immagine del girasole che ci è disegnata sopra, adoro i girasoli. Mi ricordo che, quella volta, ho perso un'ora intera nel giardino della fattoria del cugino di mio padre. Il campo si estendeva per un ettaro intero. Io e Abbasi rubavamo i grani e li seccavamo in terrazza di casa nostra. Ma l'esperienza di entrare nel campo era ancora migliore del sapore della frutta secca. Entri nella foresta gialla, segui i piccioli dei fiori che si girano col sole quando si muove, mentre cerchi di mangiare i grani rubati durante il riposino. Era una cosa speciale. Perciò, quando ho visto questo grembiule, sapevo di averne bisogno. Avevo un grembiule vecchio, regalo di mio padre. Il giorno dopo che avevo fatto la mia prima pagnotta, mio papà è venuto, portandomi un nuovo grembiule, bianco, della mia taglia, e me l'ha dato: mi stava incoronando come uno dei suoi soldati della produzione del pane. Da quel giorno, ha iniziato a dipendere da me sempre di più, nelle ricette, finché sono diventato capo panettiere del turno di mattina, due anni dopo. A quel punto, ha smesso di lavorare. Provo il grembiule davanti a te, eh, che ne dici? Mi sento come se riprendessi il controllo della mia vita nelle mie mani, dopo averlo indossato.

Il mondo ha tremato quando mio padre ha lasciato la panetteria, mio zio veniva ogni mattina a dirmi di smettere di fare un tipo di pane e di risparmiare sulla farina. I nostri punti di vista a lavoro erano diversi. Io avevo un punto di vista artistico, preferivo la bontà al profitto e ai

numeri, mentre mio zio guardava al di là ed era qualcosa da considerare: era dell'idea che bisognava vendere solo due tipi di pane, più facili e meno costosi, in quantità maggiore. Ma mio padre aveva perso quello spirito che gli faceva amare fare il pane e, per questo, ho presto ceduto il mio incarico di capo mattutino a Salih Usta Ikhmis.

All'inizio, mio zio si era intromesso riguardo la dimensione della baguette che facevamo, poi la sua forma e come veniva preparata. Ha creato problemi con Salih. Salih lavorava sul lotto delle otto di mattina, in compagnia di due lavoratori algerini di nome Masud e Bahi. Gli occhi di mio zio si iniettavano di sangue quando si arrabbiava, aveva un odore dolce: era il proprietario del "Coppa", dove passava l'intera notte e buttava giù due litri di boukha, poi veniva alla panetteria di sera per finire il resto del lavoro. Salih mi aveva detto che lo zio, il giorno prima, l'aveva informato della necessità di diminuire la dimensione della baguette secondo le istruzioni governative, come aveva fatto il resto dei panettieri del Paese, e che bisognava unificare il peso del pane e modificarne il prezzo. Ma Salih gli aveva detto che prima doveva consultare mio padre. Al che, lui ha iniziato a urlargli in faccia e gli ha detto che era lui ad avere l'ultima parola nella panetteria e che mio padre gliel'aveva lasciata.

Quella mattina, mio zio ha preso una pagnotta ed è entrato nel laboratorio. Stavo lavorando su un impasto di Duha<sup>41</sup> e i lavoratori stavano ascoltando Abd el-Halim Hafez<sup>42</sup> alla radio, che cantava "Ti amo", mentre Ikhmis si stava occupando di inserire il lotto dentro al forno e Masud stava pulendo il pavimento. Abbasi stava vendendo il pane e tutti stavano cantando. Bahi stava impastando con me e mi ha detto:

— Ti amo, signor Milad.

Mio zio è entrato all'improvviso e ha rovinato l'umore, tenendo in alto una pagnotta e urlando:

— Chi paga il costo di questa pagnotta?

---

<sup>41</sup> Impasto sottile usato per fare triangoli ripieni.

<sup>42</sup> Cantate e attore egiziano molto famoso tra gli anni Cinquanta e Settanta in Egitto e Vicino Oriente.

È sceso il silenzio. Masud ha spento la radio. Quando un membro della nostra famiglia si arrabbiava, ne potevi sentire il respiro e leggere l'espressione: i baffi si scuotevano, gli occhi si spalancavano e le mani gli tremavano. La pagnotta faceva il giro del laboratorio, come un coltello che minacciava di far fuori qualcuno.

— La paghi tu, Bahi? O tu, Masud? Devo decurtarti lo stipendio un'altra volta questo mese? E tu, tunisino.

— Cosa, signor Mohammed? —, gli ha risposto Ikhmis.

— Che cosa ti avevo detto ieri? Devo ripetermi finché non lo capisci? Pensavo fossimo noi le bestie, non ti avevo scritto il peso di cui abbiamo bisogno?

— Ma il signor Mukhtar... —, iniziò a rispondere Ikhmis, la cui mano si stava scottando per il calore del forno.

— Il signor Mukhtar è come se fosse morto, non sarà più qui d'ora in poi, sono io il direttore della panetteria.

Mio zio ha guardato verso di me. Il suo sguardo profondo mi è entrato nell'anima, cercando un'obiezione da parte mia. Ho piegato la testa verso terra. Ho smesso di lavorare, preoccupato. Le mie orecchie erano sensibili ai toni di voce alti. All'improvviso spero di perdere l'udito quando arriva il suono di una discussione. Forse è qualcosa con cui sono cresciuto, quando sentivo mio papà litigare con mia mamma, una volta a causa del cibo, un'altra per via della pulizia del salone, molte altre ancora perché, tornato da casa, scopriva che lei era andata a visitare una delle vicine senza dirglielo. Abbasi stava osservando la discussione dalla porta che separava il laboratorio dal punto vendita con un sorriso maligno dipinto in volto. Lo zio stava vacillando. Ha preso la pagnotta con entrambe le mani, le scintille sono aumentate nei suoi occhi. Ha spezzato la pagnotta in tre e ne ha messo un pezzo sul carrello del pane poi si è rivolto di nuovo ad Ikhmis:

— A partire da questo momento, questa sarà la nuova pagnotta.

— Ma, signore, abbiamo tre lotti su cui non possiamo tornare a lavorare —, ha detto Ikhmis.

— Allora finisci questi tre lotti, poi cercati un altro lavoro e basta con questa blasfemia.

— Signore... —, è intervenuto Bahi, che sentiva che stava per cominciare una lotta.

— Non ti intromettere, Bahi.

— Signore, ci pensiamo io e Milad a mettere a posto il peso e la forma della pagnotta.

Bahi è andato verso lo zio, cercando di calmarlo, e ha guardato Ikhmis, che si stava stringendo un lembo dei vestiti con presa salda.

— Signor Ikhmis, che ne pensa? Lei lavora all'impasto e noi a dare la forma alle pagnotte, non c'è problema.

Lo zio è tornato a dormire, ma l'atmosfera nella panetteria è cambiata completamente da quel giorno. Quando sono tornato a casa ho raccontato a papà cos'era successo, ma non parve esserci alcuna reazione da parte sua. Ha continuato a fumare la sua sigaretta, con lo sguardo perso nel cielo. Ho desiderato urlargli in faccia che stava tradendo tutto quello che mi aveva insegnato. La sera, quando sono tornato alla panetteria, vi ho trovato Abbasi, Ikhmis, Masud e Bahi seduti a bere il tè. Bahi stava supplicando Ikhmis di sopportare e restare. Mi sono seduto con loro e gli ho detto che dovevano andare a lamentarsi con mio padre del comportamento dello zio.

— Vergogna, Milad, noi siamo uomini e gli uomini non si lamentano di un altro uomo, c'è stata solo una discussione a parole tra loro due —, ha detto Masud.

— È da tempo che sto pensando di cercare un altro lavoro, da quando il signor Mukhtar ha smesso di lavorare qui e il signor Mohammed ha iniziato a crearmi problemi —, ha detto Ikhmis.

— Tranquillo, fratello. Questa panetteria è migliore delle altre. Il signor Mukhtar, nonostante il suo fanatismo e la sua indole cattiva, la maggior parte delle volte non nega a nessuno i suoi diritti. Ho provato molte panetterie, ho litigato con i proprietari, una volta ne ho quasi ucciso uno —, ha detto Bahi.

— Ma il comandante non ha detto che siamo partner, non scalini? Voi siete partner della panetteria, ha detto così il fratello comandante —, ho detto.

— Hahahahahaha.

— Hahahaha... sei buono, Milad, che Dio ti benedica —, ha detto Masud.

Un mese dopo, Ikhmis ha smesso di lavorare alla panetteria ed è venuto Abu Said. Era un egiziano dell'Alto Egitto e mio zio l'ha messo a capo dei lavoratori. Un po' di tempo dopo, c'è stato un problema tra Abu Said e Bahi. Mio zio aveva detto ad Abu Said di assegnare a Bahi la pulizia del posto intero da solo e di tenerlo d'occhio. Bahi quasi lo accoltella. Gli algerini sono gente buona, ma quando si eccitano si trasformano: iniziano con le parolacce e presto gli insulti diventano violenza fisica. Ho assistito più volte nel corso della mia vita a discussioni tra algerini. Ad Annaba, dove sono andato con Zaynab, il conduttore del taxi si è quasi scontrato col receptionist dell'hotel, che gli aveva detto il prezzo delle camere prima di informarlo che erano tutte prenotate. Gli algerini sono l'unico popolo di cui i libici hanno paura. In Algeria ho visto la gente litigare per i motivi più futili.

Dopo che Bahi se n'è andato, sono venuti due nuovi lavoratori egiziani alla panetteria: il costo di assumere egiziani era minore rispetto a quello di algerini, tunisini o marocchini. Non molto tempo dopo anche Masud lasciò la panetteria, perché si sentiva solo. Nonostante l'amicizia che si era creata tra lui e gli egiziani, gli mancava un posto di lavoro pieno di algerini. A quei tempi, ascoltava molte canzoni algerine nostalgiche. Si sentiva nostalgico soprattutto quando ascoltava la canzone "Oran" di Ahmed Wahby.<sup>43</sup> L'ho visto piangere quando l'ha sentita per la prima volta. Non l'ho più visto sorridere o fare scherzi nella panetteria. In seguito, ha deciso di tornare in Algeria, nonostante avesse trovato un lavoro da barbiere con Bahi. La nostalgia ha costretto un panettiere professionista a convertirsi in barbiere, che pena... Ti dico, è una pena. Ci sono passato quand'ero nell'esercito. "Oran, la mia partenza è una perdita, ti abbandonano persone intelligenti."

---

<sup>43</sup> Cantante algerino, esponente del genere musicale oranese che prende il nome dalla città di Oran.

Questo è quello che M cantava mentre faceva il pane. E, anche se era di Annaba, si scomponeva ogni volta che sentiva la canzone.

È stato allora che mio padre se n'è andato. Una delle sue ultime volontà era quella che mi unissi all'esercito. Non vi era via di fuga, se non la forza come quella che mi zio usava coi suoi figli. Quando era sul letto di morte, mi ha detto:

— Devi essere l'uomo della famiglia, Milad, tua madre e le tue sorelle sono in mano tua.

Avevo diciotto anni, ero convinto che mio padre sarebbe stato al mio fianco fino ai trent'anni, ma quando i suoi polmoni hanno deciso di smettere di funzionare, ho sentito come se stesse tradendo una promessa implicita tra noi due, quella di rimanere a occuparsi della famiglia e delle sue responsabilità e di lasciarmi libero, come sono. Un mese dopo, mi sono arruolato nell'esercito e per un mese intero ho vissuto nel dolore di aver perso un genitore.

L'atmosfera della panetteria mi ha aiutato a prendere la decisione: mio zio mi aveva preso di mira, ero la sua nuova vittima. Ha pensato che il modo migliore per liberarsi di me fosse quello di privarmi di lavoro all'interno della panetteria, affinché la lasciassi io stesso. Il numero di mansioni dei parenti di Abu Said è aumentato tanto che non c'era più niente da fare per me. Per tutta la mia vita, il mondo mi ha spinto con le spalle al muro e, come un gatto che cerca una via di fuga, ho preso la decisione suicida di entrare da sotto le gambe di chi mi accerchiava.

## 2

Prima di allontanarci dalla storia che ho iniziato con te e di tornarci poi di nuovo, ti devo dire che il lavoro alla panetteria era estenuante, ma, nonostante ciò, amavo tutto quello che ne faceva parte. Ci andavo dopo la scuola perché mio padre mi desse qualsiasi compito fossi in grado di svolgere. Sono grato per tutti quei giorni, soprattutto i primi, quando vendevo il pane alla piccola Zaynab, che comprava ogni giorno due pagnotte, quando la panetteria era a Dahra. Durante le feste, veniva con Sadiq, portando una cesta di torte o di maqroud sulla sua testa, e d'estate, accompagnata da suo padre, ci portava tagine di balena e ci chiedeva di metterlo nel

forno, poi sua madre la mandava di nuovo, dopo che il tagine era cotto, con un piccolo vassoio su cui c'era quello che avevamo cucinato. I più bei momenti della mia vita alla panetteria, nelle sue due sedi, quella di Dahra e quella di Bi'r Hussein, erano quando finivo di lavorare, il viso pieno di farina, e Masud mi invitava al forno, dicendo a Ikhmis:

— Ikhmis, ci siamo dimenticati una pagnotta.

Non eravamo solo colleghi di lavoro, eravamo una famiglia: facevamo gite, viaggi al mare, cenavamo, ballavamo e cantavamo insieme; la prima volta in cui mi sono ubriacato è stata con loro. Nella panetteria la vita era più semplice. Quando il lotto di pane usciva dal forno ne respiravamo tutti il profumo delizioso, facevamo colazione con il pane fresco, ne provavamo a fare tipi diversi per noi stessi, ascoltavamo tipi diversi di musica e guardavamo film di diversi Paesi dalle cassette di contrabbando con cui erano venuti Masud, Bahi e Ikhmis. Mio papà amava il cinema e la musica, per questo è stato uno dei primi a correre a comprare videoregistratore e televisione. Un giorno litigavamo e il giorno dopo ce ne dimenticavamo il motivo, avevo una quota delle sigarette, non colpivo né offendevo nessuno e me ne andavo se sentivo da parte di uno di loro una parola che mi offendeva, al che venivano tutti, trascinandosi dietro chi mi aveva offeso, perché mi desse un bacio sulla testa. Quando qualcuno di loro mi faceva arrabbiare, ognuno di loro si faceva carico della mansione di pulire e di prepararmi il pasto per consolarmi. È nella panetteria che ho ricevuto il mio primo regalo da parte di papà. Ho conservato quel grembiule a lungo, così come ho conservato Khadduja e me ne sono occupato come se fosse figlia mia, nonostante si sia frantumata e rotta spesso.

A volte, quando faccio il pane, ripenso a quei giorni. Ad esempio, prima che arrivassi tu, oggi, stavo facendo una ciabatta italiana e, per un giorno, da quando ho preparato l'impasto liquido e l'ho lasciato in frigo a riposare per mezza giornata, finché non ho preso la piccola pagnotta elastica e fragile e l'ho messa in forno, mi ritornavano in mente quei giorni. Vedevo ancora e ancora un documentario mentale sui giorni in cui l'impasto non riusciva a lievitare perché fosse possibile lavorarlo; l'ansia, l'aspettativa, la gioia di quando riuscivo a mettere a posto

l'impasto: mi tornava in mente tutto questo. A volte, penso che fare il pane sia come la vita: la mia, almeno, piena di aspettativa e di ansia.

Parlando di ansia e aspettativa, ho passato una settimana intera preoccupato e in anticipazione di cosa dovevo fare. L'idea di richiamare Abbasi mi metteva in imbarazzo, dopo l'accusa di suo padre che avessi rubato la panetteria. Poi ho pensato al mio dilemma, soprattutto dopo il tentativo di suicidio fallito. Per una settimana ho evitato tutti. Non ho parlato con Zaynab, ci sedevamo a mangiare, lei mi parlava della sua vita, del suo lavoro, di cosa succedeva e dei suoi problemi con il direttore dell'impresa. Il suo direttore si rifiutava di darle incarichi di viaggio, la saltava nelle sessioni di allenamento, nonostante in più occasioni lei fosse l'unica adatta all'incarico, oltre al fatto che lei continuava, senza successo, a incitarlo a pubblicare le opere d'arte di suo zio in un libro.

— C'è uno scandalo in paese.

Sono rimasto seduto, fermo, guardando la televisione e mangiando, poi ho fatto finta di essere occupato con il lavoro in giardino, in cui il lavoro non finisce mai. Quella settimana, Zaynab ha litigato con me più volte, mi ha spinto, ha pianto, leggevo nei suoi occhi la preghiera che le parlassi, ma la evitavo, cercavo qualcosa che mi allontanasse da quello che mi infastidiva, qualcosa che lei stessa aveva mostrato per anni, finché non avevamo avuto una casa nostra. L'ho guardata, amareggiato, che si affrettava a chiudere la finestra della cucina del vecchio appartamento mentre io lavavo posate e piatti. Ho evitato più volte di fare rumore mentre spazzavo l'appartamento o asciugavo il pavimento. Lei era spaventata dall'idea che ci stessimo lentamente scambiando le responsabilità. Io stiravo i vestiti, cucinavo e pulivo, mentre era lei a portare a casa la i soldi. Aveva paura dello scandalo. E la cosa che più la spaventava era che mia madre scoprisse che io non passavo il giorno sdraiato sul letto a guardare la televisione. Quella volta e nei primi mesi del nostro matrimonio ho fatto cadere un piatto di ceramica lavando gli utensili. In qualche modo, il piatto è caduto nella vasca da bagno, è rimbalzato sulla mia mano e mi ha fatto un taglio curvo lungo cinque centimetri. Il mio sangue scorreva

dalla ferita senza sosta. Ho provato di tutto per fermare il sanguinamento: caffè, pezzo di stoffa per fasciarlo, ma non smetteva. Sono uscito dall'appartamento per andare a chiedere aiuto a mia madre, che, quando ha visto il sangue sulla mia camicia e sulle mie mani, mi ha chiesto come mi ero ferito. Le ho risposto che avevo fatto cadere un piatto mentre li lavavo e la sua prima reazione è stata di dirmi che, come uomo, non dovrei lavare i piatti. Sono arrossito e mi tremava il corpo quando le ho detto:

— Sono qua, davanti a te, ferito e la prima cosa che fai è dirmi che non dovrei lavare i piatti? Al che, sono tornato di sopra, all'appartamento, per curare di nuovo la mia ferita. Mi ricordo che sono svenuto per qualche minuto. Quando Zaynab è tornata dal suo turno, le ho raccontato cos'era successo e lei mi ha detto freddamente:

— Perché hai detto a tua madre che lavi i piatti?

Non sapevo cosa rispondere, così me ne sono andato. Da quel giorno, ha iniziato a seguirmi ogni volta che lavavo i piatti per controllare che avessi chiuso la porta della cucina o per controllare il posto prima che io svuotassi la lavatrice. Mi ha detto che in caso mia madre dovesse chiedermi del pranzo, le dovevo rispondere: “non so cosa ha preparato Zaynab”. Mia madre non era una di quelle vecchiette che si aggrappano a qualsiasi errore della nuora, ma non era nemmeno di mentalità aperta. Aveva l'antica mentalità conservatrice degli anziani, secondo la quale la donna deve sopportare tutto, che spetta a lei occuparsi degli agi di suo marito, che se lo trova a lavare i piatti, prima del matrimonio, nella sua cucina, lo deve cacciare, e mi aveva detto che l'uomo non deve tenere in mano se non gomma o raschietto: l'uomo pianta e raccoglie, la donna cucina; l'uomo costruisce e popola, la donna pulisce quello che lui ha costruito. Questo l'accordo tacito tra i due sessi e qualsiasi difetto era da risolvere. Il primo giorno del mio silenzio Zaynab ha pianto. Il secondo, mi ha pregato di dire cosa c'era che non andava. Mi ha tempestato di domande e supposizioni. Dal terzo, ha iniziato ad attaccarmi. Ha detto che era stanca e infelice ogni giorno per il mio comfort e io non ho neanche voglia di risponderle. Il quarto giorno, mi ha detto che a volte desidera non avermi

conosciuto e non aver accettato di sposarmi. Il quinto, ha rimpianto quello che aveva detto e si è scusata. E, quando mi ha trovato così, fermo, mi ha detto che non sono un uomo e che le ho privato il piacere di avere figli. Il sesto giorno, non mi ha rivolto neanche una parola. Il settimo giorno, mi ha chiesto di parlare o divorziare. Al che, ho interrotto il silenzio, le ho detto che cercavo un lavoro lontano dalla pensione del governo, che mi dava un regalo senza sforzo, come la maggior parte della popolazione.

## Il campo

*“Vivi un giorno da gallo, non dieci da gallina.” È un detto libico sulla mascolinità. Vivere come un uomo, coraggioso e importante, per un solo giorno è meglio che viverne dieci paurosi e servili come le galline.*

### 3

Ad agosto, un anno dopo la fine della guerra nel Ciad<sup>44</sup>, è entrato l'esercito. Il caldo soffocante bruciava la mia debole faccia. Mi ricordo che, da sciocco qual ero, sono entrato nel campo coi vestiti di città. Il bus che mi era venuto a prendere era pieno di ragazzi giovani, della mia età o poco meno. Indossavano l'uniforme verde dell'esercito, tutti tranne me e altri due. Mi ricordo che il conducente del bus mi ha detto, quando sono salito:

— Hahaha, Madonna ti amerà, quando ti vedrà.

Non ho capito la battuta. Era un uomo anziano, dall'uniforme sgualcita, denti ingialliti dal tè e dalle sigarette. Non era un ufficiale e non quadrava con lo stile militare di cui avevo sempre sentito parlare. Il viaggio fino al campo era lungo e tedioso. Stavo seduto in uno dei posti in fondo e guardavo il gruppo ragazzi, che sembravano amici e fumavano insieme alla finestra, cercando, per quanto possibile, di non far entrare il fumo nel bus di latta. Ho trovato due amici che, nell'arco di un'ora, Madonna si sarebbe divertito a torturare, sotto il calore del sole, l'aria salmastra e l'umidità dell'estate. I miei pensieri giravano attorno ai giorni che mi aspettavano, preso dalla vista delle colline cineree e dagli alberi cupi al bordo della strada, e, immaginandomi la fabbrica che mi avrebbe reso un uomo, mi sono ricordato dei racconti di mio zio, che ha riso all'idea del mio recupero in tale fabbrica:

— Ah, ragazzo, se sapessi quello che ti aspetta, scapperesti in Tunisia —, mi ha detto quando ha sentito che mio papà mi diceva la sua volontà.

— Sai cosa fanno nell'esercito per passare il tempo?

— Cosa?

---

<sup>44</sup> Guerra tra Libia e Ciad, iniziata con l'intervento di Gheddafi nella prima guerra civile ciadiana (1978-1987).

— I soldati vecchi hanno la libertà di prendere in giro quelli nuovi ogni notte per un mese intero. Sai come lo fanno? —, mi ha detto, guardando mio padre e sorridendo.

— Come? Gli ho chiesto.

— Di notte, quando i soldati nuovi dormono, stanchi per il primo giorno, i soldati vecchi corrono come cani per andare a salutare i loro fratelli. Entrano in gruppi randagi nelle loro baracche, li picchiano, li portano fuori, all'arena, e gli corrono dietro. Poi, li torturano con secchi d'acqua per mezz'ora e gli gridano insulti.

— Cosa? —, ho detto, guardando mio padre.

— Mi spiace, nipotino, ma vedrai un bel po' di giorni neri, hahaha —, ha detto mio zio.

Poi ha continuato a raccontare storie dell'esercito, cani da guardia che inseguono i fuggitivi, pigri costretti a star fermi su un solo piede per ore sotto al sole, la pelle, esercizi brutali, mangiare conigli vivi, uccidendoli solo coi denti, catturare scorpioni, saltare e boxare per ore: per poco non mi facevo la pipì addosso. Durante il viaggio, cercavo di allontanare queste immagini con ricordi della panetteria, delle mie sorelle, della città e di Dahra, ah, Dahra, venderei un rene per tornare a quei giorni. Durante quel viaggio l'unica cosa di cui avevo bisogno era un bicchiere freddo di saada<sup>45</sup>, cambiare la bottiglia nel negozio di Salih, un biglietto per il peggior film nel peggior cinema della città e, per accompagnarla, farmi la pipì addosso guardando un thriller americano. Madame non ti ha raccontato quella storia divertente? Sono sicuro di avergliela raccontata, quella volta in cui stavo studiando al liceo della città (avevo convinto papà che la scuola è migliore in città che in paese) e sono andato al cinema dopo le lezioni a vedere il remake di Karnak con Soad Hosny, Kamal el-Shennawy e Nour El Sherif<sup>46</sup>. Mi stavo divertendo a vedere il film e non volevo uscire, ma qualcosa ha iniziato a muoversi sotto di me, ero incollato al film, tanto che non volevo nemmeno andare

---

<sup>45</sup> Drink con vodka, succo di lime, mandarino e melograno.

<sup>46</sup> Attrici e attore egiziani.

in bagno. La mia pancia brontolava, ma ho rimandato più volte, finché, verso la fine, me la sono fatta addosso. Che giornata da sogno.

Alla fine del viaggio verso il campo ho dormito e ho sognato di incontrare papà in Paradiso, circondato da pane, che mi diceva che non dovevo tornare a lavorare e che tutte le persone erano uguali. Gli ho sorriso e l'ho abbracciato. Lui non mi aveva mai abbracciato in vita, ma l'ha fatto in quell'unico sogno. Proprio mentre ci abbracciavamo si è fermato l'autobus.

— Scendi, stupido —, ho sentito la voce di un uomo che sembra un cane con la rabbia.

Mi sono svegliato e ho guardato fuori dalla finestra. Mi sono guardato intorno cercando gli altri, ma non ho visto nessuno. Ero ancora insonnolito, ma mi terrificava stare solo nel bus di latta, non mi ricordavo di esserci salito. Sono tornato a guardare fuori dalla finestra e ho visto i miei compagni di viaggio fermi in attesa, i due ragazzi vestiti da città da soli. La voce da cane rabbioso è tornata a farsi sentire, ma stavolta con un'intensità maggiore. Era fermo sulla porta dell'autobus, che ha tremato quand'è salito. Un uomo di costituzione robusta, che sembrava un dattero marrone bruciato, corpulento, rasato, con due stelle sulle spalline dell'uniforme verde e dagli occhi rossi che emettevano saette.

— Non mi hai sentito, inutile straccio? Ti ho detto di scendere. O vuole forse che La serva e Le venga incontro per farLa scendere, signore?

— S-s-s-signore!

Ho cercato di riprendermi dal panico. Mi sono mosso per cercare i miei effetti personali e sono sceso in fretta. Ho sbattuto la testa contro l'armadietto sopra di me e ho sentito come se il cranio mi si rompesse. Mi sono tastato tra i capelli per sentire se c'era sangue, “che ne pensi di cambiarti i vestiti? Forza, inutile!”, mi ha messo fretta la voce da cane e mi sono affrettato a radunare le mie cose. Avevo comprato una buona borsa per metterci dentro i miei vestiti. L'uomo ha riso del colore della mia borsa, rosso, “abbiamo una ragazza nel campo”, ha urlato verso fuori. Mi sono fatto strada tra i sedili del bus, la testa verso il basso, le mie mani sopra,

soffrendo per il dolore. Ho alzato lievemente il capo e ho notato che il resto delle mie cose erano ancora nel bus e sono tornato a prenderle.

— Dove vuoi portarle? —, mi ha detto, indicandole.

Le ho lasciate vicino alla porta. Quando l'ho raggiunto, mi ha fissato. È stato uno dei momenti più lunghi della mia vita. Ha seguito coi suoi occhi il mio corpo, i miei vestiti e il mio aspetto. Mi guardava come se rappresentassi tutto ciò che disprezzava nella vita. Si è accorto che non indossavo l'uniforme dell'esercito. Ha detto, ironicamente:

— Madonna, davvero? Sei figlio del comandante e non lo sapevamo?

— Co-co-co-co-

— Co-co-cosa? Sei per caso una gallina?

— No, signore.

— No, signore? Sei una gallina. La tua faccia sembra quella di una gallina, il tuo comportamento sembra quello di una gallina, ti chiami gallina. Cosa sei?

— U-u-u-una gallina, signore.

— CHE COSA?

— Gallina. Una gallina, signore!

Una regola dell'esercito è di non contraddire mai il tuo capo, qualsiasi cosa dica di te, persino se lo dice sotto forma di domanda. Il mostro gigante mi ha spinto fuori, ordinandomi di mettermi in fila con le mie "sorelle di crimine". Sono corso alla fila dei soldati con indosso l'uniforme. La durezza del posto mi è entrata nelle ossa e il calore del sol ponente quasi bruciava l'asfalto sotto i miei piedi. L'aria nell'ambiente desertico usciva dal suolo e se ne poteva seguire la silhouette con una matita. Mi sono messo in ultima fila, dritto, te lo giuro, e si sono sentite delle parole tra i soldati, uno mi ha sussurrato: "sei spacciato" e gli altri sono scoppiati a ridere. Alcuni hanno cercato di sopprimere le risate e sono rimasti fermi, soffocando per il calore dell'ambiente e la solitudine del momento ed ignorando le risate di altri soldati che mi fissavano come fossi uno spettacolo, e no, non sto scherzando.

— Perché state ridendo? Siamo a teatro? Vi piace lo spettacolo? Ve la farò vedere, cagnacci rognosi, entro la fine del giorno avrò domato qualsiasi cane che c'è tra di voi, e tu, asino, fermo qua, con i due bastardi che si sono vestiti pop.

Sono corso alla mia nuova postazione. A mi ha detto che mentre correvo sembravo la bambina con cui giocava da piccolo al salto con la corda. Il mostro ha gridato, poi si è messo a parlare della disciplina e del rispetto di regole e leggi e ha iniziato ad elencarci le leggi che dovevamo seguire. La sveglia era alle cinque di mattina. Si andava a dormire alle nove di sera. Su ogni cane che avesse cercato di scappare, avrebbero aperto fuoco, dopo aver permesso ai cani di divorargli la faccia. Niente sigarette, niente alcool e niente droga all'interno del campo e chi venisse beccato con queste sostanze dormirà fuori con un regalino a sorpresa. Era importante lavarsi ogni giorno e occuparsi della pulizia della propria persona e di camere e baracca. Chiunque venisse beccato in possesso di musica sarebbe stato torturato, niente cibo al di fuori del campo, chiunque venisse beccato a fare sesso con un altro soldato sarebbe stato mandato ad Al-Jadida<sup>47</sup> a raccogliere saponette nei bagni, dove assassini e criminali ne avrebbero fatto un bel boccone. Piangere era proibito, bagnare il letto anche, cantare senza permesso, vestiti di città. Quando è arrivato alla parte dei vestiti di città, ero sicuro che a me e ai miei amici sarebbe toccato un castigo personale per tutto il giorno.

— Ora, voglio che tutti voi facciate venti giri della pista lunga, lì, voglio vedervi correre come cavalli e non intendo vedere nessuno di voi fermarsi, nemmeno per un secondo per respirare. Ci sono domande?

Il silenzio ha pervaso il posto, nessuno ha risposto.

— Anche noi, signore?

— Avete sentito? Il signor... come ti chiami?

— Milad.

— Milad e poi?

---

<sup>47</sup> Prigione a Tripoli.

— Milad Mukhtar Mohammad Milad Usta.

— Il signor Milad, Muktar, Mohammad, Milad Usta mi ha chiesto se deve correre coi suoi amici vitelli oppure no. Devono correre?

Si sollevò qualche risata tra le fila dei soldati.

— Silenzio, cani! Trenta giri per tutti. No, signor Milad Mukhtar Mohammad Milad Usta, non dovrai correre e, siccome non vuoi sporcarti i tuoi vestitini nuovi e i tuoi pantaloni da cowboy, ti toglierai i vestiti che hai addosso sotto al sole del giorno fino a che il sole non scende sul mare, le mani dietro la nuca e la testa all'insù. Capito?

E così, passammo la giornata in ginocchio. Il sole ci mangiava le nuche. Facemmo la conoscenza l'uno dell'altro, saltò fuori che uno dei due ragazzi era andato alle stesse elementari dov'ero andato io. Col passare del tempo e l'intensificarsi della tortura, mi si indebolirono gli occhi e iniziai a vedere che il posto mi ruotava intorno. La voce del mostro ruggiva dietro ai soldati, stava sparendo dalle mie orecchie, le labbra mi si seccarono e aprirono. Il sale del mare, vicino al campo, riempiva l'aria di umidità. Guardavamo i compagni correre, con il mostro che correva dietro di loro. Dopo un po', uno dei miei due compagni rise e mi chiese:

— Sei stupido? Perché hai discusso con il Madonna? Tutti quelli che entrano nel campo sanno chi è.

Il Madonna, nome dovuto al fatto che aveva sempre quella parola in bocca, era solo un uomo gigante. Si diceva che si fosse allenato nei campi italiani tanto tempo fa e che aveva preso la parola dall'ufficiale che allenava il suo plotone. Si diceva anche che sua madre, un'italiana cristiana, avesse sposato suo padre, un soldato eritreo, quando faceva parte del plotone di Balbo. La Madonna era la Vergine Maria, non era una cosa della base militare. L'uomo a cui era stato affidato per l'addestramento picchiava i nuovi soldati. Chi sopravviveva al Madonna i primi mesi sopravviveva all'esercito, scoprii in seguito. Venni a conoscenza di tutto quel che riguardava Munir e Anwar durante quelle ore, uno di Abu Salim, l'altro di Qarji. I segni della

città erano evidenti sui loro volti. Per coincidenza, finimmo a condividere la stanza in cui vivere quei bei giorni felici insieme.

Prima che scadesse il tempo, vomitai a terra, sull'asfalto, e svenni dalla sete.

#### 4

“Il sole va e viene, i giorni passano e non si calmeranno, e io e te siamo come il vento, la tua amicizia e la mia.” Amavo Ahmad Fakrun, sentivo che era l'unico in grado di esprimere qualcosa di me tra quelli della sua generazione. Da giovane, origliavo per ore ogni giorno solo per ascoltare quello che cantava. Mi sedevo da solo nell'appartamento prima di finire gli ultimi dettagli di lavoro, il materasso sui tappeti e la teiera che bolliva sul fuoco, fuggivo dal rimuginare troppo sulla mia vita e dal criticare me stesso, cercando acqua nel miraggio dei giorni. Ho sprecato gran parte della primavera dei miei anni a metà tra l'accettare e il rifiutare me stesso, fino a che non è arrivata Zaynab e mi ha calmato un po' e mi sono sentito sicuro con lei. Il mio vagabondare è stato lungo, ma non avevo mai trovato un artista che mi potesse consolare o che mi dicesse che la mia fuga sarebbe finita il Giorno del Giudizio, come a rassicurarmi che non c'era bisogno di preoccuparmene, “oh, scappare di notte, dalla notte di nebbia, il dolore del tuo cuore nel tuo cuore, dal tuo tormento al tormento, dal tuo amore nel tuo amore, dalla tua immaginazione nel miraggio”, canticchiavo con lui fino alla canzone successiva, l'album Strade di città è il più bello che abbia mai ascoltato. Mi ricordo che sono andato a Benghazi un mese soltanto dopo averlo sentito, volevo vedere la città di cui cantava Fakrun. Dopo di lui, ho oscillato tra vari generi musicali. Ho ascoltato, come gli altri della mia generazione, Bob Marley, ci mettevamo jeans e aprivamo la camicia sul petto per i raggi del sole come lui, lasciavamo crescere i capelli fino a sembrare capelli. Molti della mia generazione sono finiti a fumare erba e per un po' io ero uno di loro. “No woman no cry”, cantavamo con lui in inglese rotto. Mi dispiace per la mia generazione. Siamo la generazione triste, abbiamo passato la giovinezza nella crisi economica maggiore che il nostro Paese abbia

mai attraversato. Il periodo tra la seconda metà degli anni Ottanta e i primi due terzi dei Novanta è stato un periodo cupo, un peccato se eri un ragazzo di vent'anni che guardava al futuro. I nostri sogni si sono infranti e caduti come una collana di perle spezzata. Avere una chitarra era più importante che avere un sacchetto di erba da fumare per volare. Ci godevamo quel poco che la vita ci poteva dare, i cinema avevano chiuso, i bar erano diminuiti, l'onore dei loro proprietari e dei loro clienti sotto accusa, il caffè italiano era stato proibito a tempo indefinito. Ciò non vuol dire criticissimo nostro fratello il Comandante, Dio non voglia, dato che stato lui a liberare la Libia dal giogo straniero. Ma sono sicuro che lui non sapesse davvero quello che succedeva nel Paese e cioè che alcune persone travasavano le sue parole, questo è tutto, capisci?

Perché ti sto parlando di Bob e Ahmed Farkun? Perché ho notato una cosa che mi lascia ancora perplesso quando ripenso a quei tempi. Nella maggior parte dei generi musicali che ascoltava la mia generazione e che forse hanno ascoltato anche quella precedente e quella successiva, il tema dell'amore e della nostalgia erano ricorrenti tra i cantanti. Ho sentito diversi artisti cantare di amore, perdita e agonia, ma ti posso dire che, tra questi, i libici sono quelli che l'hanno fatto nel modo più incisivo. In alcuni testi lo trovi a ignorare gli avvertimenti della sua amata e soffrire follia, angoscia e privazione e sai che molti sentono quello che senti tu, ti immagini che i maschi che ascoltano canzoni con questo tipo di sentimenti siano tra i migliori esseri viventi che ci sono, ma la realtà di ogni giorno è ben altra. Nei giorni di Safa, Zaynab si sedeva con me e mi raccontava storie su vicini e parenti, sulla moglie di mio cugino, quello cicciotto che guida camion, che si mette a ballare quando suonano la zokra<sup>48</sup> davanti a lui. L'ha picchiata una volta solo perché lei gli aveva cucinato cuscus e non bazin<sup>49</sup>. Uno dei nostri onorevoli vicini ha costretto sua sorella a ingoiare trenta pillole dopo che lui e suo zio

---

<sup>48</sup> Strumento tunisino simile a una cornamusa fatta con pelle di capra.

<sup>49</sup> Tipico pane libico non lievitato fatto con l'orzo.

l'avevano molestata sessualmente. Lo stesso onorevole, lo incontro per strada ogni giorno e lo vedo assorto nelle parole di G. che canticchia: “Hai camminato dove sei arrivata, racconta, e sulle nuvole, bella, pazienza.” Mio padre non si sedeva mai allo stesso tavolo di mia madre, nonostante fosse uno che amava Umm Kulthum<sup>50</sup>, Abbasi non smetteva mai di imitare il ruolo del fratello arrabbiato con le sue sorelle, anche se io non lo trovavo comico come lui.

— Milad, scemo, benvenuto, vieni ad aiutarmi e dammi un pacchetto di sigarette, voglio mettermi comodo.

Mi sono ripreso circa una settimana fa. Sono entrato nella Baracca e l'ho trovato che stava lavorando nel suo giardino, cercando di piantare maizena sotto ai raggi del sole. Aveva comprato al mercato un sacchetto di semi di maizena. Abbasi ha alle spalle numerosi tentativi falliti di far partire nuove attività. L'ho visto cercare di comprare “heatphones” più volte e giochi per bambini nel bel mezzo del Ramadan. Ha provato spesso a mettere su un pollaio e tornare dal mercato delle uova arabe; ha provato anche a crescere pecore per venderle a Eid al-Adha, ha piantato aglio e girasoli e ha cercato persino di piantare da fumare e quando dico piantare intendo dire che usava me per farlo nel retro della Baracca. Andava ogni giovedì da Rashid, Mushir e Omar Mukhtar per cercare cose nuove da vendere ai bambini del paese. Comprava aggeggi Atari, Family values e Nintendo e li rivendeva al doppio del prezzo, ma spesso gli mancava la pigrizia, nonostante le idee per nuovi affari che gli venivano. So che in quel periodo aveva problemi economici e molto spesso litigava con suo padre e passava i giorni successivi nella baracca finché non arrivava sua madre a implorarlo che tornasse a casa, dandogli un po' del suo oro da vendere.

— Guarda, vogliamo seguire la stagione del mais, pensavo di fare una baracca in via Shatt, vicino al resort e vendere pannocchie alla griglia fatte sul posto, che ne pensi? Ho visto un documentario alla tele, i turchi cucinano il mais, lo sapevi?

— Bell'idea.

---

<sup>50</sup> Famosa cantante egiziana di genere tradizionale.

— Senti, —, ha detto dandomi una pacca sulla spalla, mentre fumava una delle mie sigarette,  
— voglio che ci sia anche tu nel progetto. La prossima estate verranno molti del Paese al resort, me lo sento. A nessuno piace più galleggiare nelle fognie, l'estate scorsa si è diffuso un eritema tra i bambini e, quando un bambino piange davanti ai propri genitori dicendo che vuole andare al mare, dove pensi che lo porteranno?

— Non so, io al posto loro porterei i bambini alla spiaggia più lontana a Est, quelle di qua non valgono.

— Sì, se fossero tutti mucche di mare come te, ma la gente vede il mare una volta l'anno. E verranno qui. Ho parlato con tutti quelli di Beznasa sui resort e loro vogliono visitarne un bel po'. Sono mafiosi e voglio essere il loro Don Corleone.

— Quindi, qual è il tuo piano?

— Non mi stavi ascoltando? Il piano è piantare i 150 semi che ci sono nella borsa in questo terreno, scemo. Su, dammi una mano.

Così, ci siamo dilettrati nel coltivare il suo mais. Coltivarlo richiede un tipo specifico di irrigazione, bisogna dividere il terreno in quattro e piantare in ognuno un gruppetto. Coltivare mais richiede acqua, molta, sufficiente spazio tra una fila e un'altra perché ci passi una persona, per non calpestare le povere piante. Abbiamo passato un'ora a lavorare, Abbasi si è messo a raccontarmi della litigata con suo padre, mentre si fumava una canna, e mi ha detto che era “stanco del vecchiaccio dalla mentalità chiusa”, “quando muore sarà il giorno più bello della mia vita”, poi ha continuato parlandomi della panetteria e di quello che era successo alla qualità del pane. Amava parlarci della panetteria ogni volta che poteva e elencare i ricordi di lavorarci, delle volte in cui abbiamo bruciato il pane, che lui si metteva a vendere agli allevatori di mucche. Quando abbiamo finito di piantare il mais, preparare le tavole e dare acqua al terreno finché i semi non hanno iniziato ad assorbire l'acqua, ci siamo seduti, al calar del sole, sul divano che sta davanti al piccolo tavolo di legno che risale ai tempi delle nostre prime serate insieme. Abbiamo bevuto tè e Abbasi si è fumato le mie sigarette. Il

silenzio, misto alla stanchezza, ha occupato il nostro animo per qualche minuto, finché A. non ha provato a parlare:

— Sembri irritato, Milad.

— Ma va, anzi, sono di buon umore.

— Senti, a me non interessa quello che ho detto riguardo a mio padre, so che il vecchiccio ha un carattere difficile, ma tu e le tue sorelle gli avete venduto la parte della panetteria che era vostra e di vostro padre, con il vostro consenso.

— Lo so, ma il modo...

— Il modo non conta, quello che conta è che è stata venduta di comune accordo.

Siamo rimasti in silenzio a guardare il tramonto, poi si è acceso una seconda canna e me l'ha passata, perché fumassi con lui.

— Senti, mi rimangio tutto quello che ti ho detto la settimana scorsa, sei libero di fare quello che vuoi, ero ubriaco e non ho pensato a quello che dicevo. Ha detto, rompendo il silenzio.

— Avevi ragione, me ne sono accorto.

— Aha.

### 3

Nell'esercito, ho scalato montagne, corso distanze che mai avrei pensato di fare neanche a piedi, ucciso dei conigli che ho poi scannato con le mie unghie. Mi svegliavo presto, faticavo fino non riuscire a volte neanche a cenare, il Madonna mi ha messo in riga più volte, sono diventato famoso come "Milad impasto". Ero la nemesi naturale del Madonna. In lui vedevo il ritratto di un uomo crudele, brutale; lui, in me, l'esatto contrario. Nell'esercito, mi lavavo con acqua gelida in pieno inverno, come coltelli che mi tagliavano quando mi veniva versata l'acqua addosso. Mi lavavo con sapone di marca Zanata. Per giorni mangiavamo solo panini al tonno o pasta. Mi sono allenato in qualsiasi condizione atmosferica, nel calore feroce, nei giorni di tempesta, in tempeste di sabbia, mi sono allenato nell'acqua del mare e nelle sabbie

del deserto, mi sono allenato camminando scalzo su spine e sull'asfalto cocente. Il Madonna mi urlava: "Su, Madonna, ti chiamo mia sorella perché ti porti lei sulle spalle?"; mi sono esercitato sui tipi di armi, kalashnikov, mitra e persino rpg. Su come smontare e pulire la mia arma con i minuti contati. Il Madonna mi prendeva in giro qualcuno mancava il bersaglio: "Hai preso il posto di Milad ultimamente?". Io non ho mai preso il bersaglio. Al campo ho stretto qualche breve amicizia coi contrabbandieri di tabacco e dolci, tra i soldati di ritorno dalla vacanza mensile. Dopodiché, ho scoperto che le sigarette erano proibite per un certo periodo e permesse per un altro, poi che dipendeva dalle relazioni del contrabbandiere all'interno e all'esterno del campo. I più bei giorni, quelli che aspettavamo, erano quando venivano i camion delle provviste. Potevi ottenere una nuova coperta Tigre da portarti a casa per le vacanze. Nei giorni di vacanza mi portavo biscotti, vestiti e scarpe buone di pelle, oltre a cucchiari e posate sovietici, "È arrivato un regalo dalla Cecoslovacchia per il Comandante e ha deciso di distribuirlo tra i soldati del Paese", le auto nuove erano vendute a un prezzo di favore ai membri dell'esercito, così come moto e biciclette.

Nonostante tutti questi ricordi, ce n'è uno soltanto che si è fissato nella mia mente, ovvero il momento in cui il Madonna ha dichiarato di aver fallito nel fare di me un fucile che sparasse verso dove lui indicava. Questo è avvenuto a fine gennaio, dopo quattro mesi di tormento costante. Il freddo amaro ci mordeva i corpi a petto nudo. La pioggia ci cadeva sulla testa. I corpi di alcuni sembravano dei minuscoli passeri da canna zuppi di pioggia. Il Madonna voleva che imparassimo qualcosa sulla forza della sopportazione, perché lui stesso aveva imparato, nei suoi anni di esilio in Cecoslovacchia, che i soldati sguazzano nella neve. Non capivamo perché dovesse comparare il gelo dell'Unione Sovietica al nostro freddo. Non avremmo mai combattuto al gelo. Aveva senso quando ci metteva a piedi nudi, sguazzando nella sporcizia nel pieno di un pisolino estivo, avevo sentito che i soldati avevano combattuto in gradi di caldo che cuoceva i loro corpi, tanto che alcuni erano andati bianchi come la cenere a Ozo ed erano tornati neri come il carbone a Tripoli. L'importante è che eravamo fradici mentre

correvamo lungo la pista, che era diventata chilometri di limo per via della pioggia. Alcuni giocavano col fango mentre correvano. I soldati più anziani ne lanciavano ai ritardatari che erano rimasti indietro. Ben presto la pista si era riempita di protuberanze. Non c'era spazio per fermarsi e nemmeno per inciampare. Io correvo bene. Non ero tra i ritardatari, ma ho inciampato a metà strada e il Madonna non ha permesso a nessuno di fermarsi e nemmeno di evitare il mio corpo per terra: ha invece ordinato ai soldati di camminarmi sopra.

— Milad, debole! —, ha urlato, mentre ero ancora a terra, cosparso di fango e pioggia, il corpo che tremava per il freddo, e contavo i cadetti che mi costringevano a restare per terra. Il dolore mi ha quasi spezzato la schiena. Quanti erano? Almeno cinquanta. Quando è finito il passaggio del gregge sopra il mio corpo, la mia faccia era diventata una statua di fango, la mia schiena un quadro d'arte di impronte degli stivali pesanti dell'esercito. Quando è arrivato il Madonna, che era indietro che correva dietro di noi, mi ha urlato di alzarmi. Ci ho provato, ti giuro, ma ero in preda a un collasso, il mio corpo è tornato a scivolare verso il suolo sporco di fango. Per un momento il freddo è scomparso e ho sentito calore. Mi ero pisciato addosso. Quando è uscita la pipì calda, mi si sono rilassati i muscoli. Ho sorriso per un istante, malgrado il dolore allucinante che provavo. Mi è venuta l'idea che potevo finalmente disobbedire a un ordine del Madonna davanti a lui senza che lo sapesse.

— Milad, debole, alzati. Vuoi che ti porti? Devo cercarti l'uccello? Sei sicuro di essere un uomo? Alzati, debole che non sei altro, alzati! Ti stacco l'animale che hai impiantato e ci faccio un buco al suo posto, è questo quello che vuoi? Sei venuto qui a darci un buco?

— N...n...n...Non...non...non riesco.

— Forza, stupido, vivi un giorno da gallo invece che dieci da gallina, forza, muoviti!

È andato avanti a gridare, urlare, ma il mio corpo si rifiutava di obbedirgli. Quando il mio corpo intero si è rilassato, ha ordinato a un soldato di darmi un'occhiata, ero mezzo svenuto.

— Non riuscirà a muoversi, signore, ha bisogno di un medico.

— Il soldato aveva annunciato il colpo di grazia sul mio corpo esausto. Ero contento. Finalmente, potevo chiudere gli occhi, perché sapevo che non mi avrebbe torturato più di così.

— Portatelo all'ospedale allora, cosa state aspettando?

Sono rimasto nell'ospedale dell'esercito per una settimana a pensare a come scappare dalla tortura. Ho sognato per giorni il Madonna che mi inseguiva per il campo con dei cani lupo. Arrivavo fino alla fine del cancello e scoprivo che scolarlo era al di là delle mie capacità. Alla fine, c'erano bottiglie rotte, gettate via. Sopra alle bottiglie, filo spinato ad altezza d'uomo. Achille e Rex, due dei cani più feroci del campo, si avvicinavano al mio corpo esausto. Provavo a correre nuovamente ma inciampavo e sentivo mille piedi schiacciarmi verso il basso. La mia faccia era appiccicata al suolo e, solo allora, Achille e Rex mi prendevano e mordevano i piedi, poi mi trascinavano in mezzo all'arena dove c'era la pista. Lì c'era un cane grande, enorme, che sembrava il Madonna e, prima che aprisse bocca, mi svegliavo, in preda al panico. Questo e altri sogni hanno continuato a venirmi nei pisolini e nelle notti durante la mia permanenza all'ospedale militare. A metà settimana è venuto Zahir, uno dei "contrabbandieri" famosi del campo. Era uno dei cugini del Comandante, della sua larga tribù che viveva nella valle. Era venuto a visitarmi e, dopo avermi rassicurato sul mio stato di salute, aver fatto qualche battuta sulla mia situazione comoda e avermi raccontato qualche storia sul Madonna, mi ha informato che poteva contrabbandarmi.

— Da dove? Ho chiesto.

— Per mare, l'unico luogo che non verrebbe in mente a nessuno.

— Ma, e se mi cercano dopo che sono scappato? La punizione per chi diserta dall'esercito è severa.

— Questo lascialo a me, mio zio è colonnello nell'esercito, può scrivere una lettera che ti esenti dall'esercito.

— E perché non lo fa adesso? Meglio che scappare.

— Perché ci vuole tempo a prepararla, se è quello che vuoi, aspetta finché il Madonna non abbia finito con te.

— Ci penso, ma ho sentito il dottore dire che potrebbe darmi un foglio di esenzione.

#### 4

Due ore dopo che avevo parlato con Abbasi, mi ha detto che aveva visto mia moglie salire su un'auto di uno dell'istituzione e non ho potuto fare a meno di andarmene di fretta alla ricerca di un posto dove trovarmi. Mi sono ritrovato, di notte, davanti al mare. Mi sono fermato davanti a un burrone che conoscevo da molti anni e ho guardato verso il basso, sicuro che fosse il precipizio dove le onde del mare si rompevano contro un gruppo di rocce affilate e scivolose. Sono rimasto fermo a contemplarle. Lontano, c'era un gruppo di giovani, raggruppati intorno a un fuoco che avevano acceso e alle luci della mia jeep. Oltre a loro, non c'era nessun altro davanti al mare. Sono rimasto in piedi a osservare, sotto la luce della luna, le timide onde che lambivano le pietre scivolose.

— Ti giuro, Milad, e sai che odio spergiurare, l'ho vista coi miei propri occhi, che saliva in auto col direttore generale della Fondazione. È salita sul sedile posteriore. Stavo andando a prendere la mia pensione, sai che non vado alla Fondazione se non per firmare o rispondere a domande sulla pensione. Ho comprato una brioche e un frappè alla fragola dal signor Fathi, poi mi sono diretto all'istituzione. Erano le dieci, ci credi che oggi mi sono svegliato presto? Quello che importa è che l'ho vista montare felice nell'auto del direttore.

— Ma potrebbe essere stato suo fratello.

— Credi davvero che potrei confondere suo fratello, magro e onesto, col direttore dell'istituzione, grasso, fumatore, goloso e bugiardo? Quello che ha sempre addosso il completo marrone e la cravatta arcobaleno?

— No.

— Certo che no. Senti, non te lo volevo dire dopo quello che avevo fatto la settimana scorsa, ma tu ora sei venuto da me a lamentarti della tua famiglia e della tua debolezza e vuoi sistemare il tuo trono da capofamiglia prima che se ne vada via tutto, giusto?

— Giusto.

“L’ho vista salire da sola nell’auto del direttore”. Le sue parole mi ronzavano nelle orecchie, il mare era davanti a me, la paura dietro di me, le sue luci che si irradiavano in tutte le case. Ho chiesto a Dio cos’avevo fatto per meritarmi che la vita mi trattasse così. Che fosse perché ero l’unico maschio con quattro sorelle, perché ho imparato a pettinare i loro capelli a dieci anni, a fare dolci femminili ai dodici, a fare pane, torte, dolci, brioche e a cucinare da quando ero piccolo? Forse perché avevo accettato di lavare, stirare e piegare i vestiti di mia moglie, pulire casa sua e lavare i suoi utensili? Forse perché ho lasciato il letto e i giochi matrimoniali da quando abbiamo perso la speranza di avere figli? Quando è stato? Ah, sì, i miei quarant’anni, lo stesso compleanno in cui sono diventato il Milad di cui ride tutto il quartiere e di cui un giorno si prenderà gioco il Paese e il mondo intero. Il mare mi chiamava. AF canta dei gabbiani in una delle sue canzoni: “Gabbiano, sognatore sul bagnasciuga, hanno chiamato i nostri sogni e i nostri giorni, nostalgia, viaggio e abbronzatura.” Sulla spiaggia deserta, non c’erano gabbiani a nascondere la mia solitudine e consolarmi. C’è stato un periodo in cui andavo ogni giorno a quello stesso precipizio la mattina. Seguivo i gabbiani e ho stretto amicizia con uno di loro, che avevo visto lì più volte. Era diverso dagli altri, era metà nero. Mi ricordava il gabbiano di Ahmad Farkun, gli ho detto che sparire dietro le nuvole non funziona, fino a che non scende in picchiata sul mare. Ho sempre sognato di fare come lui. Stavolta, il mio desiderio di imitarlo era aumentato, di buttarmi dal precipizio, libero da qualsiasi cosa, libero dalla paura, mi sono detto: “Dai, la terza è fissa.” Ma il fantasma di mio padre mi seguiva quella notte. Avevo paura di non raggiungerlo in Paradiso e di non potermi lamentare con lui di mio zio, che mi aveva rubato la vita e la passione, del quartiere che mi sminuiva o di mia moglie che mi tradiva. Ho avuto paura di non potermi lamentare con lui del Madonna, quella brutta

bestia. Ero un gabbiano che sognava sulla riva del mare... che sognava la salvezza. E quando volevo la salvezza, ero sull'orlo di buttarmi, mi sono ricordato di qualcosa, che avevo lasciato una pagnotta a lievitare da sola dalla sera. Ho guardato la luna, dicendo a Dio che quella era l'ultima volta che mi fermava. Ho urlato al cielo, prendendomi la mia libertà in quel gesto e sentendo i miei lontani vicini cantare e ballare, poi sono corso indietro per raggiungere la mia pagnotta. Non m'importava di abbandonare questo mondo lasciando il mio pane ad altri, mi piaceva vivere mille anni da gallina, invece che lanciarmi come un gallo dal tetto della stalla, scoprendo che potevo volare in alto solo un paio di minuti.

La mattina seguente, dopo il mio ultimo giorno di silenzio con Zaynab, per la prima volta da molto tempo, non le ho stirato i vestiti né le ho preparato la colazione. Quando si è svegliata in ritardo per il lavoro mi ha trovato in cucina che bevevo il caffè e fumavo una sigaretta, nascondendo la mia mano destra, che tremava, ma l'ansia e lo stress erano evidenti da come si muoveva la sigaretta nella mia sinistra.

— Buongiorno —, mi ha detto, sorpresa di vedermi così.

— Buongiorno.

— Oggi niente colazione?

— No, non voglio colazione.

— Tutto bene?

— Siediti.

— Sono in ritardo.

— Siediti. — Ho mosso la sedia. — Voglio che lasci il lavoro —, le ho detto.

— Perché?

— Non lo so, ma voglio che tu lo faccia.

— No.

— Cosa?

— No, non era questo l'accordo. Ci ho messo anni a raggiungere questa posizione, mi sono esaurita perché tu potessi riposarti, senza lavoro, spaventato dal mondo che ti perseguita, ho sopportato a lungo e, ora che ti sei stancato delle mie verdure, delle mie bevande e di sprecare i miei soldi in sigarette vuoi che io smetta? No.

— Le sigarette le compro con la mia pensione.

— No, la tua pensione la spendi nelle tue sorelle zitelle.

Ho colpito una donna due volte sole in vita mia. Una volta, come ti ho raccontato, quando di ritorno dall'esercito ho voluto pettinare i capelli della mia sorellina; la seconda, quando un litigio tra me e Zaynab si è accalorato. Non so come mi sono ritrovato davanti a lei, in piedi, arrabbiato perché mi faceva sentire incapace di pensare a cosa andasse fatto, e ho visto le mie mani allungarsi verso la sua faccia per colpirla. È caduta a terra, tenendosi il viso, e mi ha guardato, in lacrime:

— Mi picchi, Milad?

Ai nostri tempi era normale che l'uomo picchiasse la donna. Conosco uomini che hanno abitudini violente nei confronti della propria moglie, possono trascinarle per terra e chiuderle in una delle loro stanze per giorni, conosco uno che ha chiuso sua moglie con il figlio in una stanza per un mese solo perché lei aveva alzato la voce contro di lui, ovviamente dopo averla picchiata e averle sfigurato il volto, curandola e dandole da mangiare mentre era rinchiusa, finché lei non è riuscita, un bel giorno, a scappare. A volte, i membri della famiglia cospirano contro la moglie strana di un fratello, come nel caso della moglie di quell'uomo. Lei urlava e piangeva, mentre la famiglia di suo marito, seduta intorno a lui, ascoltava il lamento di lei e non faceva altro che fomentarlo. Per anni mia mamma mi ringraziava davanti alle donne solo perché non litigavo mai con mia moglie: "Complimenti, Milad, non l'hai mai toccata né le hai fatto male, non ce ne sono come te, diceva mia mamma. Non ho detto a Hamadi, mia nipote, la mattina del divorzio, come poteva mettersi pantaloni e andare così all'università, non ho mai inseguito una donna sotto la mia "protezione", per questo a volte

mi immaginavo come dovesse essere farlo. Mi facevo scenari in cui picchiavo e torturavo Zaynab, la chiudevo dentro casa, mentre lei mi aspettava spaventata, e non osava affrontare la realtà che le veniva imposta, lasciami, Dio, e quando le permettevo di tornare alla relazione normale tra di noi, questo come si chiama? Intendo lo stato di soddisfazione che prova una donna dopo che il marito, o il tutore, l'ha picchiata e dopo qualche giorno la sua vita è tornata com'era prima e lui le permetteva di cucinargli senza paura che lei lo avveleni. C'è qualcosa che fanno gli addestratori di cani, che li educano e sgridano poi li nutrono, ma non usano le stesse mani per farlo, colpiscono con la sinistra e cibano con la destra. Col tempo il cane obbedisce e quando l'addestratore alza la mano sinistra trova il cane già ammaestrato. È questo che i mariti fanno con le mogli?

C'è un segreto che voglio confessarti. Quando ho dato uno schiaffo a Zaynab, mi ha fatto male il palmo. La mia mano tremava, non riuscivo a credere di averla colpita davvero e, se cedeva così altre volte, avrei sentito trionfo e vittoria, ma quello che ho sentito non sapevo di vittoria. Ho pensato che lo schiaffo fosse stata una reazione involontaria all'insulto nei confronti di mia sorella, ma quella era una cosa che Zaynab aveva già fatto più di una volta quando parlavamo. C'era qualcosa di nuovo, volevo schiaffeggiare quella faccia traditrice, o che io ritenevo tale, quella faccia che aveva preferito baciare il direttore invece di me.

— Mi schiaffeggi, Milad? — ha urlato piangendo.

— S-s-scusa.

Ho cercato di avvicinarmi a lei per scusarmi, allungando la mano, ma lei si è protetta, indietreggiando fino alla parete. Stava piangendo, spaventata da me.

— Non ti avvicinare, mi hai schiaffeggiato, Milad —, ha urlato.

### 3

Il settimo giorno sono uscito dall'ospedale. Il medico ha dichiarato che non ero più adatto a stare nell'esercito, il che equivale ad annunciare il fallimento del progetto del Madonna,

progetto per cui ero entrato nell'esercito. Una volta uscito, sono subito andato all'ufficio del comandante del campo. Ero felice, e se avessi potuto ballare in quel momento l'avrei fatto, non m'importavano le risate dei soldati, a cui avrebbe fatto ridere vedere un uomo danzare come una ragazzina andando verso l'ufficio del direttore come fosse una passeggiata. Sono stato seduto per dieci minuti, guardando la foto del fratello Comandante sopra all'ufficio del direttore. Lui stava fumando una sigaretta e ascoltando alla musica che veniva dalla radio. Era una canzone che enumerava le qualità del fratello Comandante, l'uomo ideale per questo Paese. Ho guardato alla sua foto. A ventisette anni si è ribellato al regime che governava il Paese, è salito in alto, entrando in guerra, ha supportato movimenti per la libertà in tutto il mondo. Il cantante è andato avanti disprezzando i clienti degli arabi, America e Gran Bretagna, e descrivendoli come donne che tremavano alla visione del capofamiglia. Seduto, ho sentito come se un grosso e pesante macigno mi venisse tolto dal petto, leggevo i dettagli del posto con gioia per la decisione di congedarmi, che in ogni caso era meglio di scappare. È suonato il telefono del direttore, "Milad Usta, il coscritto... sì, è qui". Sono entrato nell'ufficio portandomi dietro i documenti che attestavano il mio congedo dal servizio militare. Il comandante stava bevendo caffè col Madonna. Quando sono entrato, ho fatto il saluto militare. Per me, il comandante era un uomo nascosto a noi novellini. Viaggiava e aveva riunioni di continuo ed era al campo solo pochi giorni. Dicevano che era vicino a uno dei membri del Consiglio del Comando Rivoluzionario e la sua presenza qui era un bel giorno. Ci sarebbero voluti un po' di giorni perché i miei documenti venissero approvati, ma la sua presenza indicava che forse sarei potuto uscire già l'indomani.

— Milad, figlio mio, sia lodato Dio per la tua buona salute, siediti —, mi ha detto il comandante. Il Madonna mi stava fissando come fossi la sua antica nemesi, ma a me non importava di lui, mi sono seduto sorridente sulla sedia, simile a quella su cui era seduto lui. Era irrequieto, ho pensato che il comandante avrebbe fatto la cosa giusta e l'avrebbe licenziato. Invece ha alzato la cornetta.

— Mahmud, senti, portami un caffè, e a te, Milad? Caffè o tè?

— Caffè, signore.

— Dio sia lodato per la tua salute, figlio mio. Ero preoccupato per la tua condizione e ho seguito quotidianamente con il dottore. Sono stato molto felice di sentire che stavi bene —, ha ripetuto il comandante.

— Grazie, signore.

Il Madonna era in silenzio, si accontentava di guardarmi.

— Tu sei della famiglia Usta, Milad, dico bene?

— Sì.

— Sai che conoscevo tuo padre dai tempi della panetteria di Dahra, è stato uno dei primi ad uscire felice dalla rivoluzione, fate ancora quel pane col sesamo? Mi sono scordato come si chiamava, è il pane più buono che potresti mangiare mai in vita tua. -, ha detto il comandante, guardando il Madonna, in testa fissata la foto del pane più buono che aveva mai mangiato.

— Il luogotenente Juma – questo era il vero nome del Madonna – mi ha detto che anche tu sei panettiere come tuo padre, dico bene?

— Sissignore, ho lavorato sin da piccolo con mio padre nella panetteria.

— Immagino tu sia anche un buon cuoco?

— Sissignore.

— Abbiamo bisogno di persone come te nel campo, la qualità del cibo non è mai alta qui, lo so, i cuochi sono pessimi, si mangia pasta quasi quanto in prigione. Era da tempo che pensavo di cambiare lo staff della cucina, che ne pensi di entrare a far parte del nuovo staff?

— ...

— Pensaci, e non aver paura del luogotenente Juma, non ti si avvicinerà più, ma ti voglio dire che lo stipendio dei cuochi è molto buono e ti sposerai entro la fine dell'anno se accetti il lavoro, ma prima di tutto, ho bisogno di qualcosa.

— Signore?

— Voglio che tu mi dia il foglio sulla tua condizione che ti ha dato il dottore e che ci dimentichiamo di quello che è successo e iniziamo giriamo una nuova pagina, che ne pensi?

— ...

— Pensaci e fammi sapere la tua decisione domani, ora puoi andare a riposarti.

— Sissignore.

— E non scordarti, Milad, di lasciare i tuoi documenti così ti controllo io stesso, mio cugino è medico.

Ho lasciato i documenti al comandante e sono tornato alle baracche. Lì ho trovato i miei amici e compagni del campo che ringraziavano tutti insieme Dio per la mia buona salute. Mi sono ricordato dell'offerta del collega contrabbandiere, potevo lasciare il campo facilmente quella notte stessa e poi sparire finché non mi avrebbero emesso un'amnistia militare dai piani alti.

— Dove sono i tuoi documenti? —, mi ha chiesto Anwar. Gli ho detto che li ho lasciati nell'ufficio del comandante.

— Idiota.

— Sì, che scemo, Milad —, mi hanno risposto gli altri colleghi.

— Scommetto che ti ha convinto a dimenticare l'idea di lasciare il campo.

— Cos'ha detto il Madonna?

— Sai che il vero comandante è il Madonna, il colonnello è solo di facciata nel campo.

Le parole e i pensieri dei colleghi mi risuonavano in testa.

Il giorno dopo ci siamo alzati con le urla del Madonna, che ha bussato alla porta delle stanze un'ora prima dell'addestramento.

— Veloci, idioti, asini. Credete che la guerra aspetterà?

Quando è arrivato in camera nostra, ha bussato alla porta e ha aspettato che la aprissimo, noi ci siamo affrettati a cambiarci e un commilitone ha aperto la porta. Il Madonna ha guardato me, un'aura di felicità spaventosa attorno al viso, i miei documenti in mano. Mi ha detto:

— Milad, Dio sia lodato, stai bene.

E ha stracciato i fogli davanti ai miei occhi.

— Ti hanno detto che è proibito scappare dal campo? Su, veloci. Vestiti e arena. —, mi ha detto, poi è andato a urlare nel corridoio e a bussare alle camere degli altri. I miei commilitoni mi hanno guardato, sbalorditi. Anwar ha cercato di consolarmi:

— Te l'ho detto, Milad. Avevo la camicia in mano e mi è sembrata pesante. Solo ieri stavo sognando di togliermi la c. di dosso, che mi storpiava i piedi, i pantaloni, che mi laceravano le gambe e mi avevano costretto a passare notti insonni per migliorarli, come quelli degli altri, e la mia camicia che mi pesava e m'impediva di correre nudo per le strade di Dahra. Ma adesso questi sentimenti si erano fatti più forti, perché i vestiti mi si sono stretti addosso ancor più proprio quando stavo per liberarmene. È così che si sentono i carcerati? Penso che la cosa peggiore per un carcerato sia il dover indossare gli stessi vestiti ogni giorno. Questa routine mi stava uccidendo. Sono passato dal poter scegliere vestiti delicati e dai colori accesi, ad altri frastagliati e verdi. Ero abituato a indossare jeans e camice aperte stile anni Settanta e dai colori accesi, tanto che i ragazzi del quartiere prendevano in giro come vi vestivo. Sono passato da diverse acconciature alla testa rasata. Voglio i miei vestiti. Volevo piangere, con la camicia addosso, mentre mi allacciavo gli stivali. Quella mattina è stata di gran lunga la peggiore. Il Madonna ha aumentato la dose di allenamento e si è concentrato a lungo su di me. Finito l'addestramento e giunta l'ora della colazione, ho visto Zahir che stava mangiando un panino al tonno col suo gruppo.

Mi sono avvicinato e gli ho chiesto quanto fosse serio nella sua proposta di farmi uscire dal campo. Ho ricevuto un'unica risposta:

— Stasera vieni in camera mia.

Quando, giunta la sera, sono andato da lui, vi ho trovato un gruppetto di altri cinque soldati. Mi sono sorpreso nel vedere Munir lì. Non parlavamo mai del desiderio di noi tutti di scappare dal campo.

— Bene, ragazzi, prima di tutto dobbiamo vedere un paio di norme generali. Primo, io non vi conosco e voi non conoscete me, se vi prendono l'idea di scappare era vostra.

Ha continuato a parlare delle norme che dava. Sparire di vista finché non veniva emessa l'amnistia militare, che arrivava alla porta di casa nostra. Dovevamo scegliere un nuovo posto dove nasconderci. Io avevo pensato di cercare Bahi e dormire con lui dagli algerini. Poi ha lasciato spazio per le domande. Munir ha chiesto come avremmo comunicato con le nostre famiglie, “per quello avrò bisogno del vostro indirizzo, dovrete tenere una linea di comunicazione aperta con un parente di cui vi fidiate. Nessun altro, nemmeno un parente, dovrà sapere che qualcuno di voi è fuori dal campo.” Dopo, gli ho fatto una domanda che mi lasciava perplesso:

— Ho una domanda, Zahir, perché tu non scappi con noi dal campo?

— Scherzi, Milad? Io amo il campo, posso aiutare gente come te con qualche interesse in mio favore, c'è qualcuno che scapperebbe da una miniera d'oro come il campo? Sarei disposto ad andare in prigione se ci fosse un business così.

— Ahahahahahah, Milad e le sue domande fantastiche —, ha detto Munir.

— Ok, ragazzi, l'appuntamento è domani, radunate quello che vi serve e ci vediamo all'arena di addestramento di tiro vicino alla spiaggia, alle due di pomeriggio. Lasciate ogni cosa che potrebbe appesantirvi le spalle.

#### 4

La mattina in cui ho dato uno schiaffo a Zaynab si è fermato il tempo, così come si è fermato anche il mio corpo. Zaynab non ha aspettato che io finissi la litigata. Si è alzata, dritta, come ogni donna che ho conosciuto nella mia vita, e si è preparata a entrare nel combattimento di oggi. Aveva addosso i suoi vestiti e si era truccata in viso. Il mio schiaffo non era stato forte, per cui non aveva lasciato segni fisici, ma psicologici, come si evinceva da come si muoveva per casa, come sentivo dal mio posto in cucina, congelato, i suoi movimenti erano rapidi. È

finito con il suono dell'armadio che veniva chiuso con forza. Voleva uscire il prima possibile. Se n'è andata nel giro di pochi minuti, senza aspettare neanche che la portassi a lavoro come sempre. Andrò per un chilometro sulla strada principale e aspetterò un taxi. Se la nostra vicina, una professoressa generosa, è la prima donna della regione a guidare l'auto, Zaynab è la prima donna a salire su un taxi guidato da uno sconosciuto. Sono andato alla finestra per vederla uscire di casa e andare in strada. Camminava veloce, a testa alta. Sono stato seduto a pensare al nostro futuro insieme per due ore. Di certo, le nostre vite non saranno com'erano prima, dopo quello che è successo, potrebbe tornare a casa a chiedermi il divorzio. Questa parola mi fece battere il cuore più veloce. La signora mi aveva detto, quando le avevo iniziato a parlare di Zaynab, una volta, che il divorzio non era una cosa disonorevole, è la decisione migliore che possiamo prendere. Senonché, non ero completamente soddisfatto, come può la compagnia di due anime per dieci anni concludersi in divorzio? Certo, potevamo avere dei disaccordi, lunghi e dolorosi, come quello che ci ha portato a vivere da soli in una casa dopo che ce ne siamo andati dall'appartamento, quando mi ha detto che non ce la faceva più a vivere sopra alla casa della mia famiglia e che non sopportava più l'indifferenza di mia madre nei suoi confronti in quanto donna lavoratrice. Mia madre, la signora Fatima, aveva vissuto per anni tra le braccia di mio padre, convinta che l'unico posto per la donna era la casa, la loro unica ambizione il benessere del marito, che la donna si deve unire alle donne della famiglia e le vicine e non isolarsi. Nessuno amava la donna che "si vedeva al di sopra degli altri", questo le diceva mia madre. Il primo anno, Zaynab ha sopportato i suoi commenti sul matrimonio e sui figli, "quando, Zaynoub<sup>51</sup>, mi darai la gioia di un primo nipotino?" Mia madre aveva due nipoti dalle mie due sorelle Sabah e Asma, ma il primo nipote è quello del figlio. "Mio figlio è stato lasciato affamato senza cibo oggi", commentando davanti alle mie sorelle del fatto che

---

<sup>51</sup> Diminutivo di Zaynab. In arabo, i diminutivi si formano inserendo la vocale lunga *waw*, *ū*, nell'ultima sillaba del nome e aggiungendo la vocale *a* per il femminile. Ad esempio: Ahmad diventa Hamūd e Abed Abūd.

Zaynab faceva tardi dal lavoro e, nonostante io cucinassi per me e per Zaynab, lei non ha mai voluto che dicessi a nessuno che mi occupavo della casa. Eravamo imbarazzati.

— Tua mamma mi esaurisce —, mi diceva Zaynab, — non la odio, ma mi spinge verso uno stile di vita che non mi piace coi suoi commenti, le sue parole, le sue raccomandazioni e il suo controllarmi.

— Mia madre è una donna anziana, è cresciuta in un'epoca differente dalla nostra, questo è tutto —, le dicevo, — Zaynab è di una nuova generazione, mamma, è cresciuta in un'epoca diversa dalla tua —, dicevo lo stesso a mia madre quando criticava alcuni comportamenti di Zaynab. Un giorno, uno di quelli che vengono sempre a rompere la noia, sono tornato dal lavoro in pizzeria. Era un venerdì. Le mie sorelle erano riunite nella casa di famiglia davanti al fuoco della griglia, ridendo e scherzando. L'allegria divenne ben presto fastidio, che a sua volta si convertì rapidamente in rabbia. L'atmosfera era quella solita, finché non sono entrato portandomi le fette che erano rimaste a lavoro quel giorno. È sceso il silenzio in casa quando sono entrato. Mamma mi ha chiesto di venire a mangiare un po' di grigliata. Mi sono seduto e ho fatto a pezzi il cartone in cui c'erano le fette, poi ho chiesto di Zaynab.

— Zaynab è di sopra —, ha detto Saliha, con voce infastidita. Conoscevo bene il suo tono quando era nei momenti migliori, quando era “malata”, ho sempre potuto leggere l'umore della mia sorella maggiore con facilità, solo dal modo in cui parlava. E stavolta non fu differente. Era infastidita, come se fosse successo qualcosa a casa. Ho spostato lo sguardo da un viso piegato all'altro, l'atmosfera era carica.

— E perché non scende? Hamadi, va' a chiamarla —, ho detto alla, allora, piccola Hamadi.

— È appena salita —, ha detto mia madre.

Ho capito dallo sguardo di mia madre che era successo qualcosa. Mi sono alzato e sono salito all'appartamento. L'ho trovata in camera, che piangeva, da sola. L'ho abbracciata e le ho chiesto cos'era successo. Ha pianto sul mio petto e ha detto:

— Niente.

- Su, dimmi che è successo.
- Niente...Niente.
- E invece sì. Che è successo?
- Niente.
- Allora non mangerò per una settimana.
- Una semplice incomprensione, nient'altro. Piango facilmente.
- E che incomprensione era? Con chi? Saliha?
- ...
- Avete litigato tu e Saliha?
- Più o meno... Non è nulla, dimenticatelo.
- No, devo saperlo.
- Va bene. Stavo...Stavo grigliando il pollo, le tue sorelle erano tutte impegnate o a parlare o a pulire la cucina.
- Ok, e?
- Stavo pensando al lavoro, ti ricordi che ieri ti ho detto che... che il direttore ha cercato di licenziarmi solo perché avevo svolto il compito bene, ti... ti ricordi?
- Sì, mi ricordo. E cos'è successo?
- E... e stavo pensando e ho dimenticato la carne e si è bruciata sulla griglia.
- E poi?
- Poi è arrivata Sabah e ha sentito l'odore della carne che bruciava, io ero preoccupata per il lavoro, mi ha urlato: come è possibile che tu non sappia grigliare la carne? Non è una sorpresa che mio fratello sia dimagrito dopo il matrimonio, tutti gli uomini tranne lui ingrassano dopo che si sposano.
- Ha detto questo?
- Sì... ti giuro che mi ero scordata del pollo, ero preoccupata per il lavoro.
- Cosa le hai detto?

— Siamo entrate... in un litigio semplice, all'inizio le ho detto che non era mia intenzione, ma lei ha continuato a insultarmi finché non ce l'ho fatta più e le ho detto che non stava a lei darmi lezioni su come trattare mio marito, poi è arrivata tua sorella Saliha a ferirmi con la sua lingua biforcuta, mi ha dato dell'avvelenata, della babysitter di uomini. Mi sono sentita accerchiata e sono corsa di sopra e sono scoppiata a piangere.

— Ok...

— Non voglio più vivere qui, Milad, non voglio.

— Shh...

Ovviamente, è facile dedurre cos'ho fatto. Sono sceso, veloce e arrabbiato. La rabbia tremante era evidente nella mia espressione. Ho richiamato Saliha e sua figlia per quello che avevano fatto.

— Sei felice ora? La moglie di tuo fratello piange da sola e tu mangi pizza e carne alla griglia? Saliha stava tremando per le mie parole. Non si era mai immaginata che quel ragazzo che aveva cresciuto e nutrito con le proprie mani si sarebbe potuto ribellare contro di lei un giorno. Ha tentato di giustificarsi. Ma io ero da un'altra parte. Mia madre si è intromessa dicendomi:

— E tu cosa c'entri con i litigi tra donne?

Ha ripetuto queste parole, ho portato Saliha a scusarsi con Zaynab, lei è salita, le ha dato un bacio sulla testa:

— Scusami, Zaynab, non era mia intenzione. Sei una delle mie sorelle —, le ha detto dopo averla abbracciata e baciata, poi è corsa anche lei a piangere. In quel periodo Saliha non ha parlato per due settimane. Il giorno dopo mia madre è salita all'appartamento, si è riappacificata con Zaynab e mi ha detto che non dovevo intromettermi nelle conversazioni tra donne. Io non capivo. Ho imparato allora ad essere paziente e a non intromettermi nelle “conversazioni tra donne”, come diceva lei. Ascoltavo Zaynab che mi diceva quanto la infastidivano le mie sorelle e mia madre prima che ci trasferissimo alla casa. Così come ho

ascoltato mia madre che si lamentava di Zaynab. Stavo zitto o dicevo “buona parola” e mi tenevo tutto dentro. Evitavo scontri e sono cresciuto, pensando a tutta questa pressione che mi spingeva alla follia o alla morte. Zaynab mi tormentava tutto il tempo perché comprassimo o costruissimo una casa, perché non sopportava più la vita da nuora. Ho vissuto così, finché non ho preso una parte del nostro antico terreno e ci ho costruito casa nostra. Zaynab ha investito molto nella costruzione. Ci ha messo tutti i soldi che le aveva lasciato suo padre, ha venduto il suo oro per finire la costruzione il prima possibile. Tre anni dopo ci siamo trasferiti e la nostra vita era un po’ felice, un po’ calma e un po’ un sogno.

Oggi, a mezzogiorno, dopo che ho schiaffeggiato Zaynab, il telefono di casa ha suonato, ho alzato la cornetta ed ecco la voce di Abbasi che mi diceva:

— So che mi senti, idiota, ascolta, ti ho chiamato per via di quello che ti ho raccontato ieri.

Ti ho detto qual è il contrario dell’amore? Non è l’odio, il contrario dell’amore è completamente diverso dall’odio, è l’indifferenza, l’apatia, la separazione nonostante si viva nello stesso posto, non sorridere all’altro quando il solo vederlo ti fa sentire come se volassi o dirgli le parole quotidiane, “buongiorno”, “sì, è pronto” e “caffè?” prive di ogni tipo di calore, come se parlassi con un funzionario del registro civile in Comune. Sulla casa scende il freddo. Il letto che vi tiene non è più comodo, non invita più all’avvicinarsi, ti ritiri al bordo come se fossi pronto a buttarti da un precipizio, l’odio ti travolge, brucia, ma è comunque un sentimento, qualcosa che si muove dentro di te, l’apatia è il contrario, è una pozza d’acqua stagnante che il tempo non migliora, nemmeno se un bambino vi tira una pietra. Questo è quello che ci è successo, a me e a Zaynab, in quei giorni. Lei si sentiva offesa, io deluso. Non abbiamo quasi più parlato per giorni. Le nostre conversazioni erano come un notiziario. Cedi le informazioni come fossi un giornalista e quando hai finito smetti di parlare.

La sera, quando ho visto Abbasi di nuovo, mi ha detto che aveva visto Zaynab, un’altra volta, salire sull’auto del direttore generale, aveva deciso di seguirli e li ha trovati che bevevano caffè in un bar davanti all’arco di Marco. Li ha seguiti fin dentro al bar e li ha visti sedersi in

terrazza. Mi ha detto che ha visto Zaynab fumare, cosa che sapevo già, gliel'avevo insegnato io, in ogni caso, sorridere, ridere e parlare con l'uomo in maniera gentile. Mi sono chiesto come aveva fatto a nascondere dal viso i segni di come si sentiva offesa. Ho sorriso un po', sapendo che era una donna forte, più forte di me. Ero esausto, sconfitto, mentre lei stava cercando di godersi la vita, nonostante tutto quello che la circondava. Non sapevo come affrontare l'argomento del tradimento con lei, nonostante le prove di Abbasi, ma ho lasciato spazio alla sorte. Non ho detto ad Abbasi che avevo dubbi su quello che aveva visto o che lei poteva avere una spiegazione. Me ne sono uscito con varie spiegazioni, tra cui il fatto che voleva pubblicare le opere d'arte di suo zio nel libro, di cui parlava con entusiasmo e in maniera esagerata, o anche che il direttore cercava di metterle pressioni e lei non aveva alcun modo di resistere, oppure che stava cercando di svelare la questione della sua ambiguità morale, o che lei lavorasse come giornalista capace nel crimine in flagrante. Era l'ultima persona con cui pensavo mi avrebbe potuto tradire. Aveva amici di lavoro maschi e ci chiacchierava al bar da sola, ma ne parlava sempre con odio e malizia. Non ho condiviso tutte quelle spiegazioni con mio cugino, solo perché avevamo concordato che mi avrebbe mostrato la via per riprendere il mio posto in famiglia e lui rifiutava questo tipo di analisi e dubitava della mia saggezza.

### 3

Al campo, era giunta la sera della fuga. Eravamo pronti a liberarci della tortura che ci addossava il Madonna. Per me, l'ultimo giorno di addestramento era stato come un picnic. Avevo fatto bene tutti gli esercizi, soprattutto quello armato, sono stato il più veloce a smontare l'arma, pulirla e rimontarla perché fosse pronta all'uso. Il Madonna si è sentito di aver raggiunto un grande traguardo quando ha detto ai soldati:

— Avete visto cosa posso fare, cani randagi? Finalmente, signor Milad.

Nella prova di cecchino ho centrato il bersaglio ogni volta. Il giorno è passato privo di errori, finché non è venuta l'oscurità, il campo si è coperto e tutti sono andati a letto.

Io e Munir siamo svicolati nelle tenebre notturne ai bagni. Siamo saltati dalla finestra. C'era una pattuglia di guardie che girava intorno alla zona. Ci siamo nascosti in uno dei cespugli di spine che riempivano il posto e abbiamo aspettato che se ne andassero. Ci siamo spostati di corsa dall'arena alla strada terrosa che portava all'arena di addestramento con le armi. Sentivamo i cani abbaiare in lontananza. Eravamo vicini al mare, ci separava solo un gruppetto di alberi attorcigliati e attaccati l'uno all'altro. Il terreno lì era irregolare. In una parte di mare la sabbia della spiaggia toccava il terreno del campo, poi saliva e tagliava il posto, fino a creare un precipizio alto, sotto al quale c'erano delle rocce dal brutto aspetto. Io e Munir ci siamo fermati a prendere fiato sotto agli alberi. Ci siamo seduti un attimo a fumare fino a che l'abbaiare dei cani non si è fermato. Munir mi ha detto che la sua fidanzata stava aspettando che si congedasse dall'esercito per sposarlo e che avrebbe vissuto una vita semplice, avrebbe lavorato con suo padre e fatto cinque figli. Quando abbiamo finito le sigarette, il latrato si era fatto più vicino. Ci siamo alzati e abbiamo corso fino al lato più lontano, per allontanarci. Abbiamo sentito un fischio. Munir ha detto:

— Sembra che abbiano preso qualcuno che cercava di scappare, spero non fosse uno dei nostri. Intanto il latrato si era fatto più feroce e più vicino, mentre cercavamo di scappare dalla foresta di alberi sulla costa. Mentre correvo, mi si è strappata la camicia contro il ramo sporgente di un albero. Ho visto gocce di sangue spargersi nel posto. Mi sono fermato un attimo ma Munir ha insistito perché corressi. Non c'era tempo per curare la ferita. Fischi e urla aumentavano e il latrato si avvicinava. Siamo usciti dalla foresta. Abbiamo visto una luce in basso, "sicuramente è Zahir che ci fa segno che è nel posto stabilito", volevo capire la fonte della luce, ma la luce della luna era debole quella notte, non si vedevano quasi neanche le onde che s'infrangevano sulle rocce della costa. Ci siamo fermati davanti al precipizio e ci siamo scambiati un'occhiata, Munir ha guardato verso giù.

— Rocce, ci ha portato a delle rocce, dobbiamo saltare, secondo me i cani ci stanno inseguendo. Il latrato si era fatto più vicino. Mi sono ricordato dei sogni che avevo fatto nell'ospedale militare. Achille che mi faceva a pezzi, mentre cercavo di scavalcare l'alto cancello del campo. Mi sono ricordato delle parole del Madonna quando ci ha ricevuti, quando ha detto che a chi cercava di fuggire avrebbe dato il peggior castigo possibile. Ho guardato il precipizio. Faceva paura. Le rocce sporgenti mi invitavano a saltare. I cani, i fischi, le urla. Dovevo scegliere: morire, avendo provato, o vivere, quella notte, con il pensiero di come il Madonna mi avrebbe ucciso.

— Zahir, quel cane. Ci ha venduti. Mi avevano detto che l'avrebbe fatto, ma non ci ho creduto —, ha detto Munir, spaventato.

— Cosa? Cos'hai detto?

— Non è il momento, Milad, dobbiamo trovare una via di fuga.

— Torniamo, allora, che ne dici? Diremo loro che non riuscivamo a dormire e abbiamo deciso di fare una corsetta per il campo.

— Sei scemo, Milad? Guardati la ferita.

Stavo ancora sanguinando, non sentivo più la ferita, che aveva la forma di una mela rotta dai becchi di uccelli, era sospetta, ho cercato di ricordare la forma del ramo che aveva strappato la mia camicia e il mio avambraccio ma non ci sono riuscito, sicuramente era secco e spinoso.

— Il sangue, i cani sono addestrati a seguire il sangue, saltiamo —, ho detto a Munir.

Il futuro non era chiaro ed eravamo a secondi da che il nostro piano fallisse. La luce era ancora accesa nella costa, in basso. Quando abbiamo visto un'altra luce avvicinarsi, in mezzo agli alberi verso di noi, ci siamo convinti che i cani ci stavano seguendo. La luce sulla costa è scomparsa, abbiamo sentito il ruggito del motore di una barca che partiva verso il mare.

— Sono partiti, ci hanno presi, li abbiamo riscattati, Zahir, cane randagio.

Detto questo, Munir è saltato in acqua. Ho cercato il suo corpo, ma tra le ombre e l'avvicinarsi della luce tra gli alberi e del latrato dei cani non sono riuscito a trovarlo. Non lo potevo sentire.

All'improvviso, la luce mi lampeggiò negli occhi e i cani mi si sono avvicinati. Volevo saltare ma mi ero come paralizzato. I miei movimenti erano bloccati. Dubitavo del successo di Munir. Achille mi è saltato addosso, buttandomi a terra e cercando di mordermi. Stava per farmi a pezzi, ma la guardia me l'ha tolta di dosso. Sono stato arrestato.

Onestamente, non voglio raccontarti cos'è successo quella notte e i giorni successivi. È un ricordo oscuro nella mia vita. Quello che ti posso dire è che il giorno dopo hanno trovato il corpo di Munir, trascinato sulla costa fangosa. È morto per via di ferite alla pancia nel precipizio. Ho sentito la notizia della sua morte dal Madonna, che voleva che ammettessi di essere l'ideatore dell'intero piano di fuga e che ero il responsabile della fuga degli altri. Ho segnalato Zahir e ho detto che era lui l'ideatore, ma non sapevo che era vicino ai piani alti e, tempo dopo, Anwar mi ha detto, quando l'ho rivisto, come cliente alla pizzeria, che Zahir lavorava col Madonna nel contrabbando. Gli cedeva qualche nome e gli ha ceduto il mio, ero la scelta del Madonna. Mi trovavo in un dilemma, aspettavo la punizione che il Madonna ci aveva promesso, ma non mi ha punito. Ho passato un mese in isolamento come castigo. Ma il momento della mia punizione non è mai venuto mai.

A metà della quarta settimana, ho desiderato suicidarmi, per la prima volta in vita mia. Non sopportavo la tortura quotidiana di venire immerso in acqua, lasciato con Achille nella cella, le ragioni e i turni delle botte che ricevevo. Non sopportavo le notti in cui il sonno smetteva di visitarmi, ma il dolore non smetteva di fare nottata con me. Non sopportavo il fantasma di Munir che m'inseguiva in ogni angolo della cella e mi chiedeva perché l'avevo tradito e non avevo saltato. Ho deciso di suicidarmi. Mi sono tolto i vestiti e ne ho fatto una corda. L'ho legata alle sbarre della finestra, in alto. Sono salito sul letto, poi ho messo la mia testa alla mercè della corda di vestiti, che puzzava, sapeva del sangue che vi si era rappreso e di pipì. Ho spinto il letto e mi sono lasciato andare alla fuga, sono svenuto quando mi si è fermata la respirazione.

Quando ho ripreso conoscenza, mi sono ritrovato un'altra volta nell'ospedale militare. Vedere il volto del dottore che mi aveva firmato il permesso di congedo mi ha rallegrato. Ho cercato di alzarmi ad abbracciarlo, ma il mio corpo ha opposto resistenza e non sono riuscito a muovermi. Il dottore mi ha detto che ero vivo per miracolo, la corda non aveva retto il mio peso e i vestiti si erano rotti, quindi ero caduto, dopo aver perso conoscenza, sulla testa del letto.

I giorni del campo sono finiti, ma mi sono portato dietro la loro oscurità. Ho deciso, quando sono uscito alla grande porta, che ero diventato un uomo, come aveva voluto mio padre e come voleva il Madonna, e che potevo finalmente fare quello che volevo.

#### 4

Ti ho detto che mi piacciono gli incensi? So che molti uomini del quartiere amano i profumi maschili. Sono divisi in due gruppi, uno ama i profumi che si mettono i religiosi. C'è un tipo specifico di profumi del Golfo che ha iniziato a diffondersi nel mercato, che mostra la religiosità. Gli altri, che sono per la maggior parte ragazzi, amano i profumi francesi e italiani famosi, Hugo Boss etc. Ma è raro che qualcuno dichiari il suo amore per gli incensi, anche se so che molti, tra cui Abbasi, odiano il profumo degli incensi, protestando che è solo fumo soffocante, il che è ironico, visto che la maggior parte di loro fuma, ma a me piacciono più gli incensi dei profumi. Quando eravamo piccoli, usavamo dopobarba, quella bottiglietta di alcool verde che si trova nei bagni, e ce la spargevamo sul corpo e rubavamo qualche goccia appena vedevamo un profumo, anche se non era buono. Il profumo è un lusso, l'incenso una necessità. Quando finisco i lavori di casa, mi piace aprire il mio cassetto personale degli incensi: wshaq<sup>52</sup>, fassoukh<sup>53</sup>, oud<sup>54</sup> e qualche incenso tunisino, indiano e afghano, e iniziare a cospargere la casa. Sono dipendente dal profumo del wshaq, forse lo collego alla mia infanzia. Mi rassicura. Non

---

<sup>52</sup> *Wshaq Perfumes* è una marca di profumi e incensi.

<sup>53</sup> Incenso marocchino.

<sup>54</sup> Incenso che prende il nome dal termine con cui ci si riferisce in arabo al legno di agar.

penso esista un libico per cui il wshaq non sia tra i primi odori che ha sentito in vita sua, lo conosciamo subito dopo l'odore di nostra madre e quello dell'alcool medico. Ti fa sentire di essere in presenza di un neonato, come dice mia madre. Quando finisco i miei lavoretti, accendo i carboni, preparo i semi di wshaq, quelli persiani e quelli afghani. Quello che amo di quelli afghani è il suo forte odore pungente, anche se si appiccicano alla mano. Il persiano conviene a chi non vuole che alla moglie diventi la mano appiccicosa. Preparo il braciere e ci metto sopra i carboni e spargo i semi con cura. Prendo il braciere ed entro in tutte le stanze della casa. Faccio girare il braciere nel centro della stanza sette volte per portare fortuna, poi mi sposto alla successiva, fino a che non finisco di nuovo in cucina, dove lascio il braciere e ci aggiungo altri semi.

Parlando di wshaq e altri ricordi, che ne dici se accendiamo un po' d'incenso? Mi sono appena ricordato che non l'ho ancora fatto oggi ed è ora di farlo. Dai, è un'occasione per mostrarti il resto della casa. Prima, lascio il carbone sul fuoco perché si livelli per bene. Poi, scegliamo il wshaq, bisogna scegliere i semi con cura, perché ci mettono alcuni bastoncini che puzzano di bruciato e rovinano il profumo del wshaq. Bisogna anche spezzettare l'incenso, perché sia più facile e veloce l'operazione di incensamento. Quando mettiamo il wshaq sul carbone dobbiamo farlo con cura, perché, siccome si appiccica alle dita, potrebbe cadere sul bianco. A me, personalmente, piace che si appiccichi alla mano, mi fa sentire che mi funziona ancora il senso del tatto, mettiamo la quantità giusta. È meglio metterne meno che di più, se no ne rimane che non serve, che si appiccica al carbone e che poi dobbiamo buttare ed è meglio di no. A quel punto, potremo andare in giro per le stanze.

Questa è la sala per gli ospiti, la apriamo raramente, di solito quando vengono le mie sorelle, la mamma di Zaynab o la famiglia di Sadiq, suo fratello, non ci sediamo qua. Preferiamo stare in cucina o al centro della casa, che è lì vicino. Entriamo in mezzo alla stanza, facciamo un movimento rotatorio con il braciere in aria sette volte. Questo è il ripostiglio. Molti preferiscono averlo fuori casa, ma io la trovo una violazione della legalità dell'esistenza della

stessa casa. Se è fuori, è più facile dimenticarsi di prendersene cura e poi attira i topi, che ci si annidano quando realizzano che è una stanza poco usata dall'essere umano. Per questo, Zaynab e io abbiamo deciso di averla dentro casa, così è davanti ai nostri occhi e possiamo occuparcene facilmente e posso approfittare di tutto quello che c'è dentro. Non la uso solo per le provviste, ma anche per i vestiti, le macchine vecchie e tutto il necessario o souvenir a cui non vogliamo rinunciare. Se ci pensi, è un mezzo museo. In giardino c'è un'altra stanza per i macchinari del giardino, ma non la incenso, oltre all'attico, in cui metto il resto delle cose che è meglio non tenere in magazzino. Alla fine di questo corridoio c'è la camera de letto. Andiamocene ora, Zaynab dorme e non vogliamo svegliarla, no? Andiamo in un'altra stanza. Voglio fartela vedere, è parte della mia storia, è la stanza che abbiamo costruito per i bambini. Mi fa stare male ogni volta che la apro. Puoi vedere un letto per bambini, i colori accesi delle pareti, i giochi, è una scena dolorosa. Ci entro una volta a settimana per spolverare il letto e i giochi. Mi fa venire nostalgia e mi immagino di giocare con un bambino. Piango, pensando alla mia malasorte, poi mi costringo a uscire. La chiudo, perché non ne esca lo spirito di bambino, e ci torno solo per incensarla o aprire le finestre per cambiare aria.

Può essere che ti stia chiedendo: come mai due sposi hanno costruito una camera per bambini in una casa in cui non c'è alcun bambino? Allora, la storia inizia al nostro sesto anno di matrimonio, dopo numerosi tentativi di rimanere incinti. Sono andato a tutti gli ospedali conosciuti in Paese e in Tunisia, ma senza successo. Un dottore mi hanno detto che i miei spermatozoi non riuscivano a entrare nell'ovulo, un altro ha detto a Zaynab che non può rimanere incinta, un altro ci ha dato una medicina per aiutarci nell'operazione, un anziano ci ha detto che avevamo il malocchio e dovevamo incensare la casa ogni volta che volevamo provare. Lo abbiamo lasciato perdere e Zaynab ha detto che non gli credeva. Un amico mi ha detto che conosceva un rimedio tradizionale per fortificare il sesso, un miscuglio di miele e mandorle. Una donna ha detto a Zaynab che doveva sdraiarsi in una posizione specifica quando entravo dentro di lei. Un'altra le ha consigliato semi di carota per qualche mese. Per

un po' di tempo, erano tutti interessati alla storia dei nostri tentativi di concepimento. Domande, consigli, storie, suppliche e preghiere. La questione del concepimento è stancante nella nostra società. S, un vicino, si è suicidato perché il padre lo molestava perché era sterile, dopo che le sue sorelle si moltiplicavano nonostante fosse il maggiore. La cosa era tragica anche per me. Ricevevo sguardi di compassione da parte di chiunque. Una volta, l'ho portata in un complesso medico. Dopo che il test di gravidanza ha dato risultati positivi, la nostra ansia è cresciuta. Abbiamo aspettato che arrivasse il dottore. Eravamo seduti nel corridoio, tra uomini corrucciati in compagnia delle loro mogli, ero l'unico tra i seduti a cercare di intrattenerla. Era in ansia, non era bella quando era in ansia, per quello non mi piaceva, in quel momento, che si vedesse così. Le ho raccontato la storia della mia nascita. Mio padre stava lavorando il pane quando ha ricevuto la notizia della mia nascita a casa. L'ostetrica mi ha tirato fuori e mi ha dato uno schiaffo sul sedere, poi mi ha tagliato il cordone ombelicale. Quando mio padre ha sentito la notizia da mia sorella Safah, che gli ha detto:

— È arrivato Milad —, le ha detto: — Congratulazioni — ed è tornato al suo pane. Finito il giorno lavorativo, è entrato a casa portando torte di Seven's, le ha lasciate sul bancone della cucina e mi ha preso in braccio. Dopo che la confessione di fede mi è risuonata nelle orecchie, mi ha detto che mi sarei dovuto occupare io della casa d'ora in poi ed è salito - o così mi ha detto mia madre. Sono riuscito a farla sorridere grazie al racconto. Nel corridoio ho visto il medico entrare nella stanza. C'era un uomo alto, senza lineamenti particolari, che stava sgridando sua moglie e i suoi figli. Si è fermato lontano da lei, che era triste e stava cercando di zittire i bambini. Zaynab ha appoggiato la testa su una mia spalla. Anche se quella posizione mi piaceva, mi vergognavo di stare così in un luogo pubblico. Quando succede, divento più sensibile a quello che mi circonda. Ho visto l'uomo davanti a me seduto da solo, che mi guardava con un misto di disprezzo e di rabbia. Ho cercato di evitare di incrociare lo sguardo con lui e ho aspettato con impazienza che ci chiamasse il dottore, ma non era ancora il nostro turno. Le donne entravano e uscivano. Alcuni uomini entravano incupiti, ma potevi vedere

sorrisi sui loro volti quando uscivano dalla stanza. Io e Zaynab abbiamo fatto un gioco. Indovinavamo la vita delle altre coppie e la notizia che avevano ricevuto nella stanza. Quando ne vedevamo uscire una, la testa stanca di Zaynab ancora sulla mia spalla, mi diceva:

— Guarda, sono usciti. È felice e ha aperto la porta alla moglie. Sembra che gli darà un bambino.

— Io sarei felice se fosse una bambina —, le ho detto, sfidando l'uomo alto e dai lineamenti nodosi.

— Davvero? Io preferisco i maschietti.

— Hai sempre preferito i maschietti. Ti ricordi? A scuola ti guardavo e fuggivi dalla compagnia delle bambine.

— Le ragazze sono noiose.

— E i ragazzi ingrati, per questo voglio una bambina, la chiameremo Bella.

— Oddio, Bella come quella Bella?

— No, perché sarà bella come te.

È arrivato il nostro turno di riposarci dagli sguardi pesanti del mio amico dall'ombra lunga. Siamo entrati nella stanza del medico. Era un uomo anziano che aveva passato la vita a cecare embrioni nella pancia di madri. L'uomo ha corrucciato il viso. Eravamo seduti davanti alla sua scrivania. L'abbiamo guardato per un tempo che sembrava infinito. Ci ha salutati, poi ci ha chiesto di spostarci sul lettino. Una volta fatta la visita, ha potuto confermare la notizia. Ho stretto la mano di Zaynab, felice. Quando ho sentito il ronzio di parole, quasi piangevo, ma mi sono trattenuto, sono riuscito a uscire dalla stanza senza versare neanche una lacrima. Uscendo, ho incrociato lo sguardo del signore dai lineamenti rigidi, che ha scosso la testa quando ha visto che tenevo Zaynab per mano. I giorni e le settimane successive sono passati come in un sogno. Non volevo perdere mio figlio. Ci eravamo organizzati per il suo arrivo. Passavo le mie giornate tra lavoro, pulizia, cucina e, di sera, preparativi per la sua stanza. Era la prima stanza per la cui preparazione avevamo lavorato. Non volevamo che arrivasse prima

che fosse pronta, per questo me ne sono occupato più che per le altre e l'ho pitturata e ammobiliata con amore e passione.

Eravamo al settimo cielo dalla gioia fino a quel giorno. Zaynab era diventata più debole. Per il freddo dell'inverno le era venuta una febbre alta. Il bambino stava assorbendo la sua energia. Pochi giorni dopo che si era ammalata, è caduto l'embrione e abbiamo detto addio al nostro sogno. Nonostante Zaynab stesse meglio, è piombata per due anni in una forte depressione, evidente dalla perdita di peso, dagli occhi, due pozzi neri incavati, e dal suo disinteresse nei confronti della vita. Ero triste per la perdita di nostro figlio, ma ho cercato di essere forte per lei. A volte devi essere una speranza per gli altri. Dobbiamo andare avanti nella nostra vita come possiamo e lottare per farlo. Gliel'ho detto, se fosse nato nostro figlio, la nostra vita non sarebbe andata così. Dovevamo aggrapparci alla vita. Chiamo ancora quella stanza "la stanza di Bella".

## **La stanza di Bella**

*“Il cavallo in groppa al cavaliere”, è un detto popolare che vuol dire che la donna è colei che sviluppa le buone maniere del marito e che è lui chi la cresce dopo il padre di lei. Molti libici speravano, ai tempi di quelle parole, di sposare una donna che avrebbero potuto “crescere con le proprie mani”.*

5

Avevo otto anni quando ho visto Zaynab per la prima volta. Sadiq ci stava guardando giocare a palla in un vicolo, cercavamo seriamente di non farla volare, perché non cadesse in un balcone abbandonato o nella finestra di qualcuno e men che meno, Dio non volesse, nella cattedrale. Sadiq l’aveva lasciata seduta per terra, una bambina di tre anni, che guardava i ragazzi che correvano dietro a una palla. Io ero il portiere e avevo paura che la palla di cuoio la colpisse. Ai tempi le palle erano frastagliate e ti lasciavano la guancia rossa, facendo di te lo zimbello della scuola per giorni. Io avevo ricevuto la mia parte di ferite dovute al calcio. Avevo sanguinato un bel po’ di volte dal naso, solo perché avevo sbagliato a fermare la traiettoria verso il mio viso con le mani. Ero famoso tra i bambini come il portiere che parava con la faccia. È nelle prime partite che viene segnato il tuo destino e scelto il tuo soprannome, che rimarrà invariato in futuro. Mi chiamavano “Milad marzapane”, “Milad pane” o “Milad impasto”, quest’ultimo uguale a quello che mi avevano affibbiato quelli del campo militare, perché non correvo bene da piccolo, visto che mia mamma mi aveva ingrassato a suon di pane e dolci.

La piccola bambina era seduta, incantata, guardando quello che facevamo, mentre mi prendevo una pausa dopo essere riuscito a parare la palla. L’ho guardata e mi ricordo ancora cosa avesse addosso: un vestito, bianco sulle spalle e a quadrati rossi e bianchi sui fianchi. I suoi capelli scuri, che stavano crescendo, erano intrecciati come una corona. Il suo colore caramello e le sue scarpe rosse la rendevano una principessina che assisteva a un duello tra cavalieri. Era seduta a terra, vicino alle piante di zio Kamal. Erano piante di eucalipto, dai fiori

piccoli e rossi. Per un istante, mi sono sentito sollevato dalla sua presenza con noi. I miei compagni di squadra mi hanno fatto tornare coi piedi per terra, urlandomi di saltare per prendere la palla, che mi ha centrato in piena faccia, immerso com'ero nella mia arroganza. Quando mi sono ripreso dal pizzicore e dalle vertigini, mi sono accorto che mi stavano urlando contro. La squadra avversaria stava ridendo di me. Ma io ero perso nella bambina, che stava ridendo della mia faccia rossa. Ho sorriso, ero un bambino a quei tempi, ma sono sicuro che qualcosa ci avrebbe uniti più avanti.

Non molto tempo dopo, ho iniziato a vederla a scuola, con indosso il grembiule bianco e nero, abbellita da una collana di fiori al collo. I primi giorni S. e io la portavamo con noi. Lei cercava di seguirci, ma per Sadiq era un peso indesiderato e cercava di camminare veloce per allontanarsene. Quando lo faceva io guardavo indietro, per vedere se lei ci seguiva ancora. Vedevo che faceva fatica con la sua borsa enorme sulla spalla per correrci vicino. A volte, mi teneva per il mignolo e mi vergognavo ad andare con lei a scuola, con Sadiq davanti a noi, ma col passare dei mesi ho iniziato a godermi la nostra relazione. Alcuni giorni la accompagnavo io a scuola, quando suo fratello era ammalato o quando se ne andava senza di lei e io la trovavo seduta sulla scala dell'edificio, che piangeva. Questa relazione è continuata fino a che io e Sadiq non ci siamo allontanati, una mattina, quando mi ha detto che mio padre era un ladro che rubava il pane dal suo proprietario. Dopo, contro ogni aspettativa, ci siamo avvicinati ancora di più: le compravo i panini al bar della scuola e quando ero solo durante la ricreazione veniva a sedersi con me. Non parlavamo ma ci dividevamo i panini o un succo Yoga. A volte, compravo cioccolata in negozio e la dividevo con lei. La aprivo e gliela passavo, timidamente. Comprava il pane da me in panetteria. Le davvo una pagnotta o due lontano dagli sguardi di mio padre. Il nostro rapporto è rimasto così, senza che ci parlassimo la maggior parte del tempo, finché mio padre non è tornato a Bi'r Hussein, per iniziare una vita nuova, e mi sono dimenticato di lei e di suo fratello col passare del tempo. Mi sono immerso nei miei problemi e nel fare la conoscenza della vita nuova nella casa nuova, che mio papà aveva comprato

mentre eravamo a Dahra. Ho assistito alla sua costruzione quando andavamo al paese, mio padre mi lasciava per andare a fare spazio nel grande nuovo edificio, me ne andavo per seguire soltanto melograni e arance e raccogliere fiori di mandorle e, d'estate, le stesse mandorle. Questo è quello che il paese significava per me da piccolo. Un grande campo pieno di pesche deliziose, ricotta e latte fresco, e la fabbrica di gelati Pinguino. Quando ci siamo tornati, ho iniziato a rimuovere i tratti di Dahra. Per un po', ho cercato di restare lì con tutte le mie forze. Giravo per le sue strade, da adolescente, in viaggi che facevo di nascosto da papà. Ma mi ero dimenticato dell'esistenza di Zaynab. Più cresceva, meno passava tempo nei vicoli, in cui girava in bici o giocava al trampolino con le altre ragazze della strada. Poi, ho dimenticato anche dell'esistenza di quella strada. M'interessava restare vivo e seguivo l'euforia iniziale della gioventù. Ma, verso la fine dei miei vent'anni, mi hanno colpito i ricordi della nostra vecchia casa e della strada vecchia e ho iniziato a passare le mie serate a Dahra, in compagnia dei miei vecchi vicini, dopo il turno in pizzeria.

Ero seduto con un mio vecchio amico d'infanzia a bere il tè della sera, in mezzo alla strada, e ad ascoltare raï. Quando è passata una ragazza di ventiquattro anni, al colmo della sua eleganza e bellezza, con una borsa molto più piccola di quella che portava in spalla quando correva, che camminava con gli occhi all'ingiù, cercando di non attirare sguardi su di sé, e che è entrata nell'edificio in rovina, che odorava di sangue, muco e sudore. Mi è sembrato che il tempo si fosse fermato e ho chiesto al mio amico d'infanzia come si chiamava.

— Come fai a non conoscerla? È Zaynab, la sorella di Sadiq.

— Come sta Sadiq, in generale?

— Bene, ma non lo vediamo più, passa il tempo nella loro casa nuova nel sud della città, se ne andranno di qua presto.

Il mio amico mi ha detto che lei andava ancora all'università che la sua famiglia aveva smesso di visitare la vecchia casa, dopo che l'avevano rifiutata perché aveva voluto finire gli studi. Ho pensato che le dovessi parlare, e dichiarare il mio amore, finché era ancora appoggiata al muro

dell'edificio. Ho provato a intercettarla nel suo cammino quotidiano più volte, quando scendeva dal bus per andare a casa. Ho fallito miseramente ogni volta e, dopo aver deciso di lasciarla perdere, imbarazzato, timoroso della sua reazione o che mi vedesse Sadiq e il mio piano di parlare con lei anche per pochi minuti fallisse. Ho memorizzato i luoghi che era solita visitare, il parco dell'università, dove pranzava e scherzava con le sue amiche, il bar di Fathi, i negozi di vestiti di via 1° settembre, la caffetteria della facoltà di ingegneria e il suo giardino, nascosto sempre dagli amanti, in piedi davanti all'università ad aspettare il bus che portava la gente a Sidi Masri e da lì alla stazione, tra tutti quegli edifici antichi e le persone vecchie che ci vivevano, come statuette di bellezza, incise nelle pareti delle case. Il bus si fermava, ogni volta, nell'isola del Palazzo del Popolo, perché lei scendesse con calma. Ho memorizzato il profumo che lasciava dietro di sé mentre camminava vicino al Palazzo. Ho memorizzato la sua silhouette, mentre si fermava per qualche istante prima di entrare nella libreria per tenerla dietro di lei. Me la immaginavo sul bus, il ragazzo davanti a lei, che scendeva in via della Valle, cercando a lungo un libro in libreria. Ero come un'ombra, seguivo i suoi passi e le sue pause da lontano, senza che mi vedesse. A volte, si fermava per strada e si girava, come se avvertisse la mia presenza, e io guardavo nell'altra direzione perché non mi vedesse in faccia. Non ero mai riuscito a conquistare una ragazza. Ero un fallito, anche per quanto riguardava l'amore e le avventure della giovinezza. Ho immaginato, osservandola, che a Zaynab piacesse ritardare il ritorno a casa. Trovava ogni giorno un nuovo vicolo da cui passare per scoprire la città, cosa proibita alle ragazze di questo Paese o, piuttosto, erano spinte a smettere di farlo per via degli sguardi molesti e osservatori. Quando entrava in vicoli che sembravano vuoti, metteva la mano sulle pareti degli edifici, come se fosse un rischio. La sentivo da dov'ero, uno o due edifici più in là, cantare a bassa voce, una voce angelica che adoravo ascoltare. Era un evento raro ma, quando accadeva, ti faceva innamorare.

Però, nonostante fossi snello, una sera d'autunno Zaynab ha scoperto che la stavo seguendo per caso. Ero uscito dal turno in pizzeria velocemente, per poterla vedere. Ero in piedi e il

vento freddo spingeva le foglie degli alberi che rimanevano, chiamandomi sugli scalini del Palazzo. Sono stato in piedi per un'ora, cercandola tra i bus, che si fermavano qualche istante a far scendere i passeggeri, che ancora non sapeva bene come scendere. Avevo paura di non vederla, quindi facevo del mio meglio per guardare oltre i cancelli neri. Col passare di un bus dopo l'altro, ho iniziato a perdere la speranza. Ho acceso una sigaretta e ho pensato al sogno che mi portavo dietro da anni, con qualche dettaglio in più. Facevo di nuovo il pane nella panetteria di papà. Una pagnotta inglese che avevo visto una volta in un film di contrabbando e avevo desiderato di poter fare un giorno. Il sogno all'improvviso è diventato un incubo spaventoso, la faccia del Madonna prendeva il posto di quella di mio padre, che mi costringeva a fare una pagnotta dopo l'altra senza sosta finché non cadevo al suolo, esausto. Lo scenario si è ripetuto varie volte, finché non sono tornato alla realtà, balbettando le parole imparate da mia madre per scacciare il diavolo.

Alla fine, è arrivato il bus di Zaynab, che era stranamente in ritardo. È scesa così di corsa dal bus che quasi cadeva. I suoi movimenti erano insoliti. Mi ricordavo che di solito metteva la mano sulla porta e cercava di scendere a terra lentamente, ma stavolta è saltata dalla scaletta. Mi sono detto: "Ok, è giunta l'ora di dichiararle il tuo amore o qualcosa di simile". Stava passeggiando in fretta sotto i cancelli del Palazzo. Le sono corso incontro, ma l'istinto di nascondermi mi ha fatto esitare prima di raggiungerla. Stavo aspettando che girasse a sinistra, verso via Nazionale, come era solita fare, ma invece ha continuato a camminare sul marciapiede per attraversare la strada dove c'era traffico di persone. All'improvviso si è fermata e si è girata, quindi mi sono girato anch'io, per guardare, attraverso la vetrina di un negozio, una nuova camera giapponese della Kodak. La camera mi ha ricordato della passione di mio padre per la fotografia, passione che non è riuscito a tramandarmi, e mi sono chiesto se avevamo una foto di Zaynab da piccola a casa, così sarebbe stato più facile dichiararle il mio amore, visto che condividevamo uno stesso passato. Sarebbe ancor più bello se nella foto ci fossimo solo io e lei. Mi sono immaginato la tragica scena in cui scopriva che la seguivo e

mi riconosceva. Non ero cambiato tanto, è vero che avevo i baffi e seguivo la moda dei giovani, legandomi i capelli in una coda e usando gel di olio d'oliva, ma i miei lineamenti in generale non erano cambiati tanto. Sono dimagrito e diventato più alto, questo è tutto, e mi avrebbe potuto riconoscere facilmente, si sarebbe quindi lamentata di me con suo fratello, che mi avrebbe cercato nei quartieri della città e non sarebbe stato difficile, visto che la maggior parte dei ragazzi della strada venivano in pizzeria, che era la migliore del Paese ai tempi e con orgoglio, il che dipendeva dall'impasto naturale che usavamo. Sadiq avrebbe potuto darmi la caccia e cercarmi sino in paese per darmi una lezione. In tutte le risse in cui sono stato da piccolo ero la parte debole, anche in quella con lui, quando gli avevo tirato un pugno e lui mi aveva aggredito e avevo pianto come “una ragazzina”. Neanche al campo avevo successo nelle lotte, nemmeno in quelle semplici in pizzeria, con i miei clienti abituali, che finivano con me che lanciavo via l'impasto e uscivo, perdendomi per la città, finché non mi richiamavano per convincermi a tornare al lavoro. Non ero bravo a dare pugni o calci, anche se mi piaceva molto la boxe e seguivo quando potevo le repliche delle partite di Mike Tyson, Mohammad Ali e del Prince Nasseem Hamed<sup>55</sup>. Ho immaginato più volte Zaynab che urlava in mezzo alla strada o che chiamava la polizia perché mi arrestassero o dessero una lezione. Me la sono anche immaginata che mi dava uno schiaffo, mentre cercava di scappare da me. Dal mio posto, davanti alla vetrina del negozio, ho cercato di sbirciare col mio occhio sinistro e ho visto che stava continuando a camminare, più veloce di prima, per cui mi sono affrettato e mi sono ritrovato a sbatterle contro davanti alla libreria Mukhtar. Sono rimasto paralizzato e lei mi ha guardato negli occhi. “Mi ha beccato”, mi sono detto.

— Milad? —, ha detto, emettendo un sospiro di sollievo e cercando nei miei occhi il ragazzino che portava quel nome.

— Zaynab —, ho detto.

— ...

---

<sup>55</sup> Ex-pugile inglese di origine yemenita.

— Da quanto tempo —, ho detto.

Quindi, era destinata a scoprirmi e, se non ci fosse un significato in tutto questo, non te l'avrei raccontato. Mia madre mi diceva che quando Dio ha deciso di creare il mondo e tutto quello che c'è sopra, aveva scritto già tutto, presentato agli uomini le loro mogli in Paradiso, dato loro le chiavi del loro cuore e gli aveva insegnato a trovarle. Quello che succedeva faceva parte del suo piano, se vogliamo, e io non ero che una pedina nel racconto. Ho sentito come se i segreti di lei fossero stati svelati, quando l'ho vista, al contrario di quello che mi aspettavo. Le mie paure sono svanite quando lei ha sentito e sono rimasto sentendomi in imbarazzo e timido, stando lì fermo davanti a lei per strada.

— Grazie a Dio sei tu, Milad.

Queste parole mi sono entrate nel petto e ne hanno spalancato le finestre, che erano chiuse. Sì, per fortuna sono io, e nessun altro, a godere di averti incontrata un'altra volta in vita mia. Grazie, per aver fatto sì che mi chiudessi in me stesso e non cambiassi, come molti della mia generazione hanno fatto crescendo. Dovevo ringraziarlo in tutte le religioni, entrare nella cattedrale, che si vergognava della mia esistenza, e invocarlo lì, andare dal signor Abd al-Salam, dirgli che grazie alla sua mediazione presso Dio ce l'avevo fatta e lasciargli un dinar perché mi accompagnasse nel mio futuro, sacrificare un capretto in nome di Dio per quel momento e perché, stando alle parole di lei, ero io, Milad.

Ho saputo, dopo aver parlato brevemente con lei, che c'era un ragazzo che cercava di molestarla all'università, “per questo sei arrivata in ritardo al nostro appuntamento quotidiano, Zaynab”, mi sono detto, incolpando la sua ansietà; questo ragazzo la seguiva fino al bus e non le staccava gli occhi di dosso, senza vergognarsi, anzi, la molestava con parole che pensava che l'avrebbero sedotta. Stavo pensando a cos'avrei potuto fare se l'avesse seguita fin sopra al bus o avesse deciso di prenderle la mano e infastidirla ancora di più con le sue frasi viscide. Ero l'unico testimone di quest'avvenimento, l'avrei seguito e gli avrei tirato un pugno, come farebbe Mohammad Ali? Grazie a Dio, ancora una volta, che ero io, Milad, perché

se fosse andata diversamente la mia scena eroica si sarebbe convertita in un fallimento catastrofico e in calci dolorosi nella mia pancia. Sì, sarei migliorato agli occhi di Zaynab e magari ci avrei guadagnato un abbraccio, no, non un abbraccio, nessuno riceve un abbraccio da una ragazza sconosciuta nel nostro Paese. Avrei almeno ricevuto una lacrima e un sorriso da parte sua, persino dopo aver versato sangue dalla bocca. Stava ancora tremando all'idea di quel tipo. Le ho proposto che l'avrei accompagnata a casa. È stata una conversazione breve quella, ci siamo fatti qualche domanda su come stavamo e come stavano i nostri vicini in generale. Siamo scesi per l'edificio Dinar e ci siamo ritrovati soli lì.

— Lo sapevi? La strada non è più la stessa da quando è chiusa la panetteria. Com'è lavorare in paese?

— Ho smesso di lavorare alla panetteria quando è morto mio papà, ora lavoro nella pizzeria qui vicino.

— Amo la pizza.

E io amo te, le volevo dire, ma non è andata così. Queste parole dovevano aspettare un'altra passeggiata, per uscire dalla mia bocca. Siamo giunti a un accordo: che l'avrei accompagnata da dove scendeva dall'autobus fino a casa. Sadiq non c'era a proteggere sua sorella, quindi ho deciso di pensarci io. In ogni caso, la accompagnavo già a scuola quando era piccola e le portavo la cartella, che male c'era se lo facevo anche ora, che eravamo adulti, proteggendola da stalker, molestatori e malintenzionati? Finivo il mio turno in pizzeria fremendo per quell'appuntamento, mi lavavo faccia e capelli per bene dalla farina, mi pettinavo di nuovo, mi portavo dietro vestiti da mettere dopo il lavoro, mi sono comprato, per la prima volta in vita mia, un profumo e ho pensato di cogliere l'occasione per uscire con lei mentre la proteggevo dagli uomini. Era una cosa logica per me, mi viene da sorridere se ripenso a quei giorni e al ragazzo che ero, che aveva scoperto l'amore all'improvviso. A volte prendevo dei tranci di pizza per lei, al posto di rose o regali, che avrebbero confessato il mio amore più del dovuto.

Il primo giorno, abbiamo fatto una passeggiata d'amicizia, come amava chiamarla Zaynab, e l'appuntamento, come lo chiamavo io, verso il bar Aurora, scendendo in via 1° settembre, poi svoltando in via Haiti, che era deserta, stando lievemente distanti e lanciandoci entrambi occhiate di nascosto. Sentivo i suoi occhi che mi scrutavano l'anima mentre camminavamo nella città e nel suo traffico, finché il silenzio non è stato rotto dalla sorpresa di Zaynab nel vedere il mio mignolo smaltato, lo stesso a cui si aggrappava nei giorni di pioggia quando andavamo a scuola.

— Oh, il tuo dito è ancora tinto, Milad.

— Ah, sì... a volte mi dimentico di averlo smaltato.

— Mi ricordo che lo prendevo quando ero spaventata dai tuoni.

Ho sperato che i tuoni tornassero a scuotere il Paese, che lei ne fosse terrorizzata e prendesse il mio mignolo di nuovo e lo tenesse con sé per le strade della città, scaldandolo con il suo pugno caldo, trascinandolo per i vicoli, cantandogli: "Ti ho aspettato, amore mio... e aria, entrata nell'aria, mi ha portato nel mio Paese", e toccando le pareti degli edifici. Non serviva che ci fossi anch'io, lo potevo tagliare e lasciarglielo come regalo, guidato dalla voce della pace e del coraggio. Che lo portasse con sé, a dormire in camera sua, sotto al cuscino o sul comodino e lo tenesse come collana che la società nascondeva dal sole. Ecco, Zaynab, prendilo, le volevo dire.

— Per un po' ho lasciato perdere l'henné, avevo paura dei commenti di mio padre o del Madonna.

— Chi è il Madonna?

— Lunga storia.

Sì, quando mi ero immerso nel lavoro alla panetteria con mio padre i giorni del paese, mi ha detto di smettere di smaltarmi il dito. A mio padre non piaceva vedere henné; mia madre aveva smesso di smaltarsi le dita e non ha ripreso a farlo finché non è morto, "l'henné corrompe il pane", mi diceva, tentando di spiegarmi il motivo del suo ordine, dopo che gli

avevo detto che mio nonno (suo zio) lo faceva. Anche una volta al campo mi sono fermato. Sapevo che sarei stato ridicolo se l'avessi fatto. Gli effetti del campo sono durati un anno prima che recuperassi la mia vecchia personalità e tornassi a passare tempo con le mie sorelle. Lasciavo loro i miei capelli per giocarci mentre io riposavo sul grembo di una di loro.

Al nostro secondo incontro, abbiamo passeggiato per tutta Dahra. Abbiamo iniziato il viaggio dall'hotel Wudan. C'erano degli stranieri che sembravano giornalisti, sotto la protezione di informatori statali che li tenevano d'occhio, e qualche turista, che era venuto dalla Tunisia a osservare le attrazioni del Paese. I momenti di silenzio tra di noi erano diminuiti, mentre guardavamo gli stranieri. Zaynab mi ha raccontato di aver sempre desiderato essere una giornalista, del suo amore per l'appartamento di suo zio e per lo zio stesso e la sua compagnia, zio che l'aveva spinta a provare a scrivere pezzi di giornale, ma lei aveva fallito, agli occhi di suo padre, nell'eredità artistica e colta della famiglia. Le aveva ordinato di studiare medicina. Lei aveva obbedito, nascondendo il suo sogno dentro di sé e tirandolo fuori nuovamente solo quando andava all'appartamento di suo zio per passare la giornata con lui. Gli puliva l'appartamento, beveva tè alla cannella con lui, lui le raccontava della nuova tela che aveva dipinto o le insegnava a dipingere. Ti ho detto che Zaynab ha tanti tentativi artistici alle spalle? Aspetta, sono sicuro di aver conservato in magazzino le sue brochure, insieme ai suoi documenti e libri.

Ecco le sue prove a matita. C'è un'immagine che ti voglio mostrare, risale a uno dei nostri incontri in riva al mare. Penso il terzo o il quarto. O forse era il quinto? No, al quinto abbiamo passeggiato per la città vecchia, cercavamo un negozio antico in cui era stata con suo padre da piccola e che le era rimasto impresso. Sono sicuro che mi abbia fatto un ritratto in uno dei nostri primi incontri. Comunque, questo è il quadro, l'ha dipinto per me, mentre io guardavo il porto sotto la pioggia, volevo scappare dalla pioggia, ma lei ha voluto rimanerci sotto. Ha cercato di ritrarmi sorridente. Si possono ancora vedere i segni della pioggia sulla tela, sulla mia faccia e sulle linee della matita. Non so come ha fatto a farlo. Mi stavo meravigliando di

trovarmi lì, sotto la pioggia, mentre lei dipingeva i miei baffi e i miei occhi spalancati. Non mi assomiglia molto, a dir la verità. Ma mi rappresenta. Ci sono altri quadri, uno dell'antico negozio in città, uno del giardino – quand'è stata la volta del giardino? – e un altro della mia ombra, mentre lavoro in pizzeria, quando mi ha costretto a tornare presto: ero arrivato tardi al nostro solito appuntamento e me la sono ritrovata davanti alla pizzeria che tremava. Nessuno l'aveva seguita quel giorno, ma l'abitudine a vederci le era rimasta. Tornando indietro a quei tempi, ora, mi chiedo come potessimo fare tutto ciò sotto il potere della società. La signora mi ha detto che la cosa è diventata difficile per i nuovi amanti ora che il potere della società ha iniziato ad affilare i coltelli sempre di più. Zaynab non era una ragazza liberale, ma neanche conservatrice. Era un po' e un po'. Aveva idee conservatrici come ne aveva di liberali, specialmente per quanto riguardava l'arte. Ho immaginato che fosse per via della sua relazione intima con suo zio ed era questa metà della sua anima quella che ha spinto la nostra relazione in quei primi giorni.

Questo vuol dire che la nostra era una relazione puramente platonica? Mentirei se lo dicessi e, così facendo, romperebbe la promessa fatta a mio padre. Il giorno in cui si era spaventata ed era entrata all'improvviso in pizzeria, il posto in cui avevo a lungo cercato di evitare di incontrarci, e dopo la siesta che faceva una volta finite le lezioni, (in teoria c'era un'ultima lezione, durante la quale finivo io di lavorare), il mio collega stava dormendo con sua moglie e nel locale non c'erano clienti, io stavo pulendo dopo che la folla era scomparsa. Stavo lucidando il bancone, vestito da lavoro, coperto di farina, e all'improvviso me la sono ritrovata di fianco, che versava lacrime e con i segni della paura tutti addosso. Mi sono affrettato ad abbassare la saracinesca a metà, prima di andare a consolarla. All'inizio, ho provato a calmarla, ma ben presto mi ha abbracciato. Ci eravamo visti solo poche volte, sentivo le sue mani sulla mia schiena. Ero immobile, non sapevo cosa dovevo fare: cingerla con le mie mani come aveva fatto lei? Avevo le mani verso l'alto e ancora stringevo il panno con cui stavo pulendo quando è entrata, ho avuto un singhiozzo da pianto. Avevo paura che il ragazzo l'avesse molestata.

Dopo pochi secondi, sono riuscito a muovere le mani verso il suo corpo e a coprirlo sotto di me, sentivo la sua paura, la sua eccitazione, e incolpo me stesso di quello che le ho fatto. Le ho permesso di restare aggrappata a me per un po', poi le ho alzato la testa all'improvviso, perché i nostri occhi si incontrassero, come la farina con l'acqua. Non ero mai stato tanto vicino a una ragazza, come in quel momento. La distanza tra me e lei era svanita e ora mi toccava confessarle i miei sentimenti e dirle che l'amavo. Non so come siano scomparse le paure, i pensieri e le complicazioni che la vita aveva progettato per me. Ho avvicinato la mia bocca alle sue labbra e l'ho baciata. Il mio cuore è impazzito e la pizzeria era ancora più calda. È stato un bacio leggero e rapido, ma stavo per piangere anche per quello.

— Tranquilla, non farò più tardi —, le ho detto, con tono tranquillizzante.

Le ho preparato la tavola, ho fatto qualche fetta con l'impasto che stavo preparando prima. Erano tranci semplici, di una Napoletana, che avevo fatto per me stesso, nemmeno Arqi. la mangia. Non credeva in questo metodo, che cercavo di convincerlo fosse utile. Le ho messo davanti la fetta più grande, adornata con foglie di basilico che avevo tagliato dal giardino di casa nostra. Mi sono seduto a guardarla divorare la pizza, bevendo dalla bottiglia della felicità, mentre io divoravo la felicità che mi aveva preso qualche istante prima. Le volevo cantare: "I tuoi occhi, i tuoi occhi... nei tuoi occhi c'è uno sguardo triste, parlami dell'amore e della sua malinconia", dirle quante notti avevo passato a immaginarmi le nostre labbra che si incontravano o come piangeva il mio cuore per il calore lasciato dal suo corpo attorno al mio mentre mi abbracciava.

— Tu ami la pizza e io amo te.

L'avevo detto davvero? O me lo sto immaginando ora? Non lo so, ma l'intera scena ha fatto sì che le confessassi il mio amore. Non avevo bisogno di sentire che mi ricambiava, perché l'ho capito quando è entrata in pizzeria. Avevamo cercato di nascondere la nostra attrazione reciproca negli incontri precedenti, incontri passati a ridere, dopo i quali, ci fermavamo, in

silenzio, a pensare e ci rendevamo conto che stava succedendo qualcosa tra di noi, ma che cercavamo di nascondere; le dicevo, in mezzo alla folla del mercato Mushir, cose tipo:

– Sapevi che la gente, qui, vendeva pasta di pomodoro in grammi?

O qualcosa del genere, che ci portava lontano dalla timidezza, i silenzi carichi, la follia dell'attrazione e l'amore silenzioso e ci ritrovavamo in mezzo a una folla di persone e venditori di seta e profumi, ma l'amore è così, secondo me, cresce piano piano fino a che raggiungeva una vetta altissima all'improvviso. Lì, in cima, gli amanti scelgono se possono provare a raggiungere una vetta ancora più alta, rimanere lì, perché diventi un'abitudine per loro, o scendere, separandosi; quanto a noi, abbiamo scalato fino a raggiungere una vetta altissima che ha cambiato il corso della nostra storia personale.

Non ti dirò che sono un buon credente. Ho commesso errori e avuto desideri, nonostante il mio amore per Dio. Ho sognato, come qualsiasi ragazzo represso, di portarmi Zaynab a letto, così come ho sognato altre ragazze prima di incontrarla di nuovo. Mi sono masturbato guardando dal letto di casa una vicina che aveva lasciato la finestra della cucina aperta, mentre si metteva i vestiti da casa. Mi sono rimaste in testa le storie sessuali di Abbasi sulle prostitute algerine e libiche che aveva "conosciuto", secondo la sua espressione preferita, in Tunisia. Mi sono masturbato guardando film tunisini e americani di contrabbando. Il film egiziani che ci davano scene di baci, danza del ventre e sospiri mi facevano soltanto venir voglia di lasciar andare la mia sfrenatezza, mentre Abbasi si masturbava sotto le coperte davanti a me mentre guardavamo film nella Baracca, una volta mi ha persino organizzato la prima volta con una prostituta che avevano pagato lui e i suoi amici, nella fattoria di mio zio Mohammad, a Bi'r Usta Milad, in una notte di ebbrezza, che di tanto in tanto ricordavano. Sapevo di quelle notti di alcool, ballo e orge con prostitute e cercavo di allontanarmene. L'ultima cosa che volevo era che la polizia della moralità ci inseguisse per gli alberi della fattoria. Quella notte, dopo che Abbasi aveva insistito che andassi lì a cucinare per loro, dopo che la prostituta si era saziata con il mio cibo, Abbasi mi ha offerto la ragazza, che aveva

trent'anni, una giovane color paglia, leggermente paffuta, che aveva cercato, per quanto possibile, di coprire i propri lineamenti con del trucco economico, che molto probabilmente aveva comprato nei negozi di via Rashid. Si faceva chiamare Khadduja e ho sorriso perché si chiamava come il mio lievito madre. Abbasi se l'era già scopata con un suo amico più volte. L'avevo sentita mentre facevo la grigliata, ridere e gemere, mentre Abbasi le metteva dentro il "suo Abbasi". Ho cercato di non guardare dalla finestra della stanza, che sapeva di sesso, sudore e sperma, mentre il "mio Milad" soffriva perché voleva provarla. Abbasi mi ha chiamato:

— Milad, vieni a giocare con noi —, ma non volevo, mi vergognavo del mio corpo già quand'ero da solo in bagno, figuriamoci spogliarmi davanti a mio cugino, al suo amico e alla ragazza. —

— Non ci penso proprio —, gli ho detto, la prostituta ha riso quando mi ha sentito e così hanno fatto anche i due amici di Abbasi che erano fuori a ballare a ritmo di musica. Abbasi è uscito nudo dalla stanza. Potevo vedere il liquido della ragazza intorno al suo pene, ho cercato di allontanare lo sguardo, lui ha riso, mi ha preso e mi ha tirato verso di lui dicendo:

— Entra, daglielo, se no te lo do io.

Ridi di quello che dico. Magari ti chiedi: perché ti sto dicendo tutto ciò, c'entra qualcosa col mio racconto? Ti dico di sì, Abbasi ha cercato di fare di me uno "stallone" molte volte, prima che mi sposassi con Zaynab, e anche dopo, era convinto che l'uomo non si vergogna di niente, tranne di quanta esperienza ha fatto fare al suo cazzo nel far penare le donne dal desiderio di averlo. A parte di questo, l'uomo può comportarsi senza vergogna e, per provare che il "mio Milad" non mi avrebbe fatto vergognare in futuro, dovevo, secondo lui, entrare nella mischia con Khadduja e dimenticarmi della mia Khadduja, del pane, per una volta sola nella mia vita, lasciar bruciare l'arrosto, se necessario; e così, mi sono ritrovato davanti a Khadduja, stesa sul letto come una principessa egizia, la testa appoggiata al gomito, mostrandomi le chiappe e le sporgenze del suo corpo. I suoi seni erano come grappoli d'uva maturi pronti per essere colti,

mentre l'amico di Abbasi stava sdraiato, esausto dalla giovenca, che ora mi guardava con aria di sfida.

— Vieni, dammelo da mettere in bocca come mi hai dato da mangiare.

— Mangiatela, Milad, hahahah —, ha detto l'amico di Abbasi, mentre fumava una sigaretta.

— Non posso —, ho detto ad Abbasi.

— Non puoi? Non ti si alza? —, mi ha chiesto Abbasi e ha preso il “mio Milad” in mano per sentirlo.

— ...

— È sveglio, il che vuol dire che puoi. Hahahahaha —, ha riso Abbasi.

Abbasi e il suo amico si sono messi i pantaloni e sono usciti ridendo dalla stanza. Abbasi le ha promesso un altro giro. Era la sua prostituta preferita. Ho pensato a mio zio che, una volta, mi aveva chiesto se suo figlio beveva. Gli avevo detto:

— No, ma penso vada a puttane.

I lineamenti di mio zio si sono rilassati quando me l'ha sentito dire e mi ha detto:

— Se è così, nessun problema, l'importante è che non tocchi alcool. Milad, il ragazzo è al sicuro sotto la tua sorveglianza.

Lo zio non sapeva che ero io al sicuro sotto la sorveglianza di suo figlio. Ho chiuso la porta, pronto al confronto tra me e il mostro che stava flirtando con me, esercendo il suo fascino nel letto che sapeva di sudore e pieno di liquidi corporei appiccicosi. Un brivido ha scosso il mio corpo. Ho notato il mio mignolo smaltato, cercando di togliermi i pantaloni, ma stavo tremando. Lei ha cercato di incoraggiarmi, dicendo:

— Non aver paura, non mordo mica, succhio soltanto.

E, risentita dalla mia espressione gelida, si è distesa sulla pancia e ha preso la sua scatola di trucchi, per abbellirsi per il resto della notte, ubriaca e immersa nel suo torpore. La curva del suo culo, piena di smagliature, mi ha sedotto: mi sono fatto coraggio e sono andato a chiudere

completamente le tende della finestra. Il suo occhio destro si è girato per guardarmi. Ha emesso una risata:

— Ah, ti piacciono i segreti... vieni, non aver paura, ti sverginerò.

Mi sono passate scene del mio “sverginamento” per la testa. Nell’arco di qualche minuto, avrei oltrepassato una soglia della mascolinità nel nostro Paese, “vieni, amore mio, vieni a giocare”. Ha mosso le tette mentre finiva di truccarsi. Me la sono immaginata, gemendo mentre me la montavo. Le sue grida che, nella mia immaginazione, oltrepassavano le pareti fino ad arrivare alle orecchie di Abbasi, che si congratulava e confessava i suoi segreti, dicendo ai suoi amici:

— Ve l’ho detto che mio cugino è uno stallone, la prole del vecchio Milad è piena di stalloni. Noi distruggiamo le donne.

Me la scopavo come si scopa una puttana, la facevo piangere, mi supplicava di smettere mentre mi lasciavo andare completamente. Mi sono sbottonato la camicia, voleva che la finissi con la farsa, il mio Milad pulsava sempre di più e, prima che mi avvicinassi a lei, avevo bagnato i pantaloni. Lei poteva vederlo e ha riso.

— Sei uno di quegli uomini, quindi.

Ho abbassato lo sguardo per vedere cosa mi ero fatto, ero così eccitato che ero venuto ancor prima di toccarla. Sono scoppiato a piangere. Non capivo cosa mi stesse succedendo. Dovevamo scopare finché non le fossi venuto dentro. Ma avevo rovinato tutto, come sempre. Mi sono seduta sulla vecchia sedia di mio nonno. Lei si è tirata su la coperta e si è avvicinata, cercando di tranquillizzarmi:

— Non preoccuparti, caro, mi succede sempre.

— Ma non così. Non sono un uomo.

— Ma sì che lo sei.

Mi ha mentito, tentando di placare il mio dolore, che si faceva sempre più profondo. Mi sono passate per la mente tutte le parole che avevo sentito riguardo la mia mascolinità, “l’uomo

gode solo con il cazzo”, mi diceva sempre Abbasi, e anche stavolta avevo fallito e mi ero messo in imbarazzo da solo, davanti a una donna, mio padre mi sgridava per la mia “mollezza” e mio zio disprezzava i miei comportamenti, lontani dalla mascolinità. Il Madonna mi prendeva in giro, cercando di uccidere il bambino che era in me, ma senza riuscirci, e ora questa puttana era un nuovo testimone della delusione e della vergogna che ero. Mi sono colpito il petto e lei si è seduta di fianco a me, fumandosi una sigaretta.

— Non ti preoccupare, non lo dirò a nessuno —, ha detto, e io ho sentito in che situazione critica mi sarei ritrovato quando Abbasi avrebbe saputo che ero venuto prima. Ho alzato la testa, guardandola. Era più bella di prima. C’era una punta di tenerezza nei suoi occhi che mi ha fatto cambiare idea su di lei. Stavo cercando nel suo un viso familiare che potesse provare empatia nei miei confronti. Ha sbuffato il fumo della sigaretta e si è alzata per controllare che la porta fosse chiusa. Il suo corpo era bello persino avvolto nella coperta. Ha camminato in maniera seducente verso la porta ed è tornata, altrettanto attraente, da me e ha sbirciato dalle tende della finestra per vedere cosa stavano facendo i suoi clienti. Di sicuro erano ancora impegnati a bere e ballare. Si è seduta sul letto e mi ha detto:

— Ascolta, sembri un bravo ragazzo, non sei come loro. Ti ho osservato sin dall’inizio della serata, mentre cucinavi e pulivi, so riconoscere un bravo ragazzo e tu lo sei, non ti incolpare di non essere riuscito a scoparti una semplice puttana come me. Venderei l’anima per avere un uomo come te, credimi —, ha detto e l’animale del sesso che era in lei si è trasformato in qualcosa di simile a una madre dolce.

— Abbasi saprà cos’ho fatto, ho macchiato i pantaloni.

— È un gioco da ragazzi.

Si è alzata, con la scatoletta dei trucchi in mano, e mi si è avvicinata. Si è piegata per cancellare la prova ma l’ho fermata, al che ha sorriso e mi ha passato la scatoletta. Avevo paura che mi toccasse. Ero preso dall’angoscia, “usa il rossetto e quello che vuoi degli altri trucchi per

coprirla, magari puoi disegnare delle labbra rosse”, l’ho fatto, avevo ancorai miei dubbi che bastasse per coprire la macchia, è tornata dov’era per far svanire i miei dubbi.

— Per il resto, stai tranquillo, pensi davvero che un gruppetto di adolescenti basti a far godere Khadduja?

E si è messa a gemere, per conto proprio, mentre mi guardava sorridendo, toccandosi e godendo:

— Ah, Milad... più forte, più forte!

La guardavo mentre recitava quello che avremmo dovuto fare.

— Guarda dalla finestra se stanno ascoltando —, mi ha detto. Mi sono alzato a sbirciare dalle tende della finestra, si erano fermati ad ascoltare la voce che gemeva da dentro la stanza.

— Ah, Milad, ah, così!

— Tocca a te adesso, di’ qualsiasi cosa, insultami.

— Non lo so.

— Ok, ripeti dopo di me: “sta’ zitta, zoccola, pensi che ci andrò piano con te? Prendi!”

— Stai zitta, zoccola.

— Dillo con voce rude, da uomo, come se mi stessi picchiando.

— Sta’ zitta, zoccola! Pensi che ci andrò piano con te? Prendi!

Ridevamo mentre fingevamo. Ho visto che i ragazzi stavano rientrando di fretta per una pausa.

Erano dietro la porta adesso. Ho riso, ha pianto, ha gemuto, ho riso. Ho lasciato andare il grido finale, lasciando capire che l’avevo fatta venire, e si sono sentite delle esclamazioni di sorpresa e un silenzio d’attesa. Mi sono seduto sulla sedia, lei mi ha dato una sigaretta e abbiamo fumato, sorridenti. Era riuscita a rendermi l’eroe del popolo, quando sono uscito gli altri mi hanno accolto congratulandosi. Abbasi ha alzato il suo drink di limone e boukha, dicendo loro:

— Ve l’ho detto che Milad è il legittimo erede del grande Milad Usta, il più grande stallone che Bi’r Hussein, Bi’r Usta Milad e l’intero Paese abbiano mai conosciuto!

Quella notte, finita la serata, dopo che gli altri erano andati a dormire, mentre ero seduto, sorseggiando il mio ultimo drink e fumando una sigaretta, Khadduja è venuta a sedersi con me e mi ha raccontato la sua storia. Mi ha detto che aveva quindici anni, esattamente la mia età, quando l'ha fatto per la prima volta. Lei aveva una cotta per un ragazzo della città, che a sua volta era attratto da lei e che se l'era scopata nell'appartamento di un amico. Ha detto che lei ci aveva fatto sesso per amore, e aveva pensato di donargli sé stessa, perché cosa c'è di bello nell'amore se non dai all'amato tutto quello che hai. Un'idea che le aveva messo il ragazzo in testa, per poter cogliere il suo fiore... "Ero snella, le donne della città sono testimoni della mia bellezza, prima che appassissi." Quando, dopo una, due, tre, venti volte, lei gli ha chiesto di sposarla, il suo amato le aveva detto che lui non si sarebbe sposato con una puttana e lei si era quasi uccisa per l'offesa. Non si sarebbe dimenticato che lei viveva ancora con la famiglia, che avrebbe scoperto quello che lei aveva fatto, arrivato il primo promesso sposo che avrebbe voluto sverginarla, ma lei aveva perso la verginità la prima volta con il suo amato traditore.

— E da allora, mi vendico sugli uomini, prendendo i loro soldi, branco di cani rognosi —, mi ha detto.

— Promettimi, Milad, che se un giorno ti innamori, e tra te e la tua amata succede quello che è successo tra me e quel figlio di un cane, non tradirla così. Lo puoi fare?

Ha alzato il mignolo, perché lo stringessi col mio, per segnalare la mia promessa.

— Il tuo mignolo è smaltato, te l'ho detto che non sei come loro —, ha detto ridendo, poi le è scomparso il sorriso.

— Promettimelo, Milad, promettimi che non mi lascerai mai sola.

Mi è venuta in mente la voce di Zaynab, mentre prendeva un'altra fetta di pizza e alzava il mignolo, io ho alzato quello con l'henné, perché li stringessimo nella promessa che le facevo. Ho sorriso. L'ho lasciata, poi? Non penso, potrei averla delusa, a volte, ma sono sempre stato al suo fianco, incoraggiandola, tenendole compagnia e cercando, per quanto ho potuto, di

proteggerla. Mi ricordo che eravamo in giardino, dopo un'altra avventura in pizzeria, più pericolosa della prima – la pizzeria era diventata il nostro luogo d'incontro – stavo guardando il suo meraviglioso seno, succhiandone il nettare, e ci stavamo scambiando baci passionali che infiammavano i nostri cuori, sulle labbra, i lobi delle orecchie, la nuca e il collo, ma non eravamo arrivati a unire i nostri corpi completamente. Zaynab ne era spaventata e io dubitavo di riuscire a farlo. Io non avevo toccato la sua Zaynab, né lei il mio Milad. Ci godevamo la gioia del momento, sulla terrazza della pizzeria, cosparsi di farina, sorridendo; a volte, ci facevamo la guerra lanciandoci la farina in faccia, “ora faccio una pizza di te”, diceva lei, “ti impasto”, le dicevo io, e ci immergevamo nella lussuria dell'amore, in attesa dello spettro di Arqi, che poteva entrare dalla saracinesca da un momento all'altro, o di Sadiq, che poteva scoprire che sua sorella era caduta nel vizio con un suo amico d'infanzia. Una volta che ne avevamo avuto abbastanza, di amore, ci pulivamo bene i vestiti, e andavamo al parco Ghazala, quando era un luogo di ritrovo per coppie. Eravamo ubriachi della dolcezza dell'esperienza, ignari com'eravamo del controllo della società, drogati sotto agli alberi del parco, finché le voci di un gruppo di ragazzi ci hanno fatto uscire dalla nostra lussuria.

— Cosa fate, bastardo e marcia? —, ha detto uno di loro.

— Ti piacerebbe per tua sorella? —, ha detto un altro.

— Sì, glielo augurerei.

Ogni tanto uscivo dalla mia personalità. Poi mi meravigliavo di essere stato in grado di farlo. Come ti ho detto di aver fatto precedentemente, come quando ho colpito Asma quando ho saputo che riceveva messaggi da un compagno di scuola, l'ho trascinato per i capelli da camera sua fino al centro della casa, mentre le mie sorelle mi osservavano, pregandomi di smetterla.

— Stai parlando con ragazzi, scostumata? —, le ho detto, ancora vorrei uccidermi se ci ripenso, le ho dato uno schiaffo e prima che riuscissi a dargliene un altro mi ha fermato mia madre, che mi ha cacciato di casa. Asma è andata avanti ad aver paura di me per anni prima che riuscissi a colmare la distanza che si era formata tra di noi dopo quello che era successo ed è

tornata a fidarsi di me e a parlarmi. Ho risposto d'istinto ai ragazzi, che hanno iniziato a darmi calci e pugni e hanno cacciato Zaynab dal parco, minacciandola di portarla in una centrale di polizia se l'avessero rivista con me al parco o in qualsiasi altro luogo. Poi sono tornati a picchiarmi, ma, visto che eravamo vicini a una centrale, è arrivato un membro delle forze dell'ordine, la cui faccia sembrava quella di una rana, e loro se la sono data a gambe. Sono rimasto in giardino, dolorante, pensando a come era andata a Zaynab e se era riuscita a tornare a casa sana e salva. Voleva dire che l'avevo abbandonata? Se fosse stato così, avrei rotto la promessa.

Il resto di quella giornata è stato pesante per me. Mi vergognavo ad andare così in via, coi vestiti strappati e i segni delle botte, ma volevo controllare come stava.

È durata un'eternità la mia attesa di rivederla l'indomani e di potermi scusare, se avevo rotto la promessa, lasciandola sola mentre la insultavano e la cacciavano, scusarmi di essere me stesso. Però, che ne pensi se cambiamo l'argomento per un po', ci beviamo un altro tè in giardino?

## 6

A che serve raccontarti l'intera storia del nostro matrimonio, in ogni caso? Meglio saltare ai giorni successivi, quando ci siamo presi un albergo a Tunisi, precisamente a Djerba e a El Ghazala, che ne dici? Poi possiamo ritornare sui giorni successivi al mio pestaggio e alla mia umiliazione. Infatti, c'è una cosa che ti voglio raccontare, a prescindere quanto c'entri con la mia storia, e cioè l'unico vero motivo per cui ti ho raccontato tutto ciò finora riguardo l'inizio della nostra storia. Ti puoi sedere, mentre do acqua alle piante, e ti racconterò quello che riesco a descrivere dei giorni più belli della mia vita.

Dopo una stressante settimana di matrimonio, conclusasi con la notte di nozze, ci siamo preparati una mattina a partire via terra per il nord-ovest. Mentre viaggiavamo ascoltavamo musica, siamo passati oltre i benzinai delle zone di frontiera, i venditori di datteri, i lavoratori

doganali e i venditori di stoviglie; volevamo andare a Djerba per uno o due giorni a riposarci, per poi andare ai bagni e infine alla capitale. Oltrepassato il confine libico, Zaynab ha messo mezzo corpo fuori dal finestrino per godersi il vento e ha gridato:

— Ho sempre voluto farlo!

Poi si è tolta il velo.

— Oh, ora va meglio, il caldo era insopportabile —, le ho detto.

— Non ho mai capito la tua tolleranza, caro, ma ti amo.

Non ha capito che io, per tutta la mia vita, ho ascoltato le mie sorelle lamentarsi del velo, soprattutto d'estate, e della difficoltà di respirare avendolo addosso, oltre al caldo e ai vestiti pesanti: la conclusione logica era che le donne non indossassero il velo, o che lo indossassero in un modo che permettesse loro di respirare bene e di alleviare il calore. Le mie sorelle ridevano del mio modo di pensare, mentre mia madre mi guardava, disgustata dalla mia "follia". Stavamo ascoltando Ahmad Fakrun cantare "Soleil Soleil", quando il sole è calato. Eravamo arrivati a una strada costeggiata su entrambi i lati da una palude.

— Fermati, ci sono fenicotteri.

Non avevo mai visto fenicotteri in vita mia. Sì, li avevo visti alla televisione, ma dal vivo mai. Avevo visto molti uccelli durante le mie gite al mare, cicogne, oche e anatre migratorie, gabbiani e uccelli dalle forme strane di cui non ho mai memorizzato i nomi, ma non avevo mai visto prima un gruppo di fenicotteri nel calore estivo. Stavano su di una zampa nella palude. Zaynab è scesa per avvicinarsi di più e mi sono ricordato di un'informazione interessante che le potevo dare, saputa in un documentario visto alla tele. Ho spento il motore dell'auto e mi sono avvicinato a lei, cingendola con un braccio.

— Sapevi che i fenicotteri sono rosa perché mangiano gamberi?

— Dai.

— Sono prova che siamo ciò che mangiamo.

— Hahahaha, e tu cos'hai mangiato, per essere così bagnato?

— Pane.

— Tutti mangiamo pane.

— Quello che la gente mangia non è pane, è una roba storpiata, il vero pane si fa con amore, immagina se mangiassi ogni giorno il pane di tua mamma?

— Non sapevo fossi anche un filosofo, Milo.

Sì, è così che mi ha soprannominato, “Milo”, e non “Millo” come fa Abbasi. Milo era più bello e più speciale, perché intriso d’amore. Le volevo chiedere cosa mangiasse per essere così buona, bella e sexy. Mangiava dolci locale tutto il giorno? O continuava a mangiare frutta fresca e appetitosa? Siamo stati mezz’ora davanti ai fenicotteri, bellissimi sotto al sole, l’amore che ci corteggiava. Poi siamo partiti per Djerba. Le forze dell’ordine mi hanno fatto pagare una multa che non ho capito, “prepara i tuoi soldi per felicitarti del re”, mi aveva detto Abbasi, giorni prima che partissi per il viaggio, tra i consigli che mi ha dato, compresi i numeri delle prostitute che conosceva, in caso mi annoiassi di mia moglie. Alla fine, siamo arrivati a Houmt Souk e ci siamo fermati a bere un caffè e qualcosa di fresco. Ci siamo seduti a un caffè che dava sulla piazza del mercato, gli edifici bianchi erano abbelliti con azzurro cielo, che ci dava tranquillità.

— Cosa vuoi bere?

— Coca-Cola.

— Io un caffè e una brioche.

## Bibliografia

Azzuz Intisar S., “Libyan Women: Past, Present, and Future”, in Toperich Sasha, Mullins Andy, *A New Paradigm: Perspectives on the Changing Mediterranean*, Washington DC, Center for Transatlantic Relations, 2014, pp. 149-158

Bedirian Razmig, Saeed Saeed, *Ipaf winner Mohammed Alnaas on Libyan literature's 'voice full of wounds'*, in “The National”, 2022,

<https://www.thenationalnews.com/weekend/2022/05/27/ipaf-winner-mohammed-alnaas-on-libyan-literatures-voice-full-of-wounds/>

Bricchi Mariarosa, *La lingua è un'orchestra*, Milano, Il Saggiatore, 2018

Delahunty Hannah, *Towards peace in Libya? A gender-responsive analysis of the Libyan conflict and some pathways towards gender-inclusive resolution*, Parigi, Institut du Genre en Géopolitique, gennaio 2022

Editori dell'Enciclopedia Britannica, *History of Libya*, in “Britannica”, 1998 (revisione 2015), <https://www.britannica.com/place/Libya/History>

Editori dell'Enciclopedia Britannica, *Libya Revolt of 2011*, in “Britannica”, 2011 (revisione 2022), <https://www.britannica.com/event/Libya-Revolt-of-2011>

Firmian Federico Manfredi, *Libia: un governo bicefalo per un paese diviso*, in “ISPI, Istituto per gli Studi di Politica Internazionale”, 2022, <https://www.ispionline.it/it/pubblicazione/libia-un-governo-bicefalo-un-paese-diviso-37050>

Kelly Sanja, Breslin Julia, *Women's Rights in the Middle East and North Africa*, Plymouth, UK, Rowman & Littlefield Publishers, 2010

Khalil Andrea, *Crowds and Politics in North Africa, Tunisia, Algeria and Libya*, New York, Routledge, 2014

Laessing Ulf, *Understanding Libya since Gaddafi*, Londra, C. Hurst & Co., 2020

al-Na'ās Mohammad, *Kneading Words: Mohammed Alnaas on Bread, Writing, and the Stuff of Language*, in “Arablit & Arablit Quarterly”, 2022, <https://arablit.org/2022/09/26/kneading-words-mohammed-alnaas-on-bread-writing-and-the-stuff-of-language/>

Ogun Mehmet Nesip, Yurtsever Serdar, Said Abdulkarim, *Libya's Past, Present, and Vision of the Future*, UK, Cambridge Scholars Publishing, 2020

Saeed Saeed, *Mohammed Alnaas becomes first Libyan to win International Prize for Arabic Fiction*, in “The National”, 2022 <https://www.thenationalnews.com/arts-culture/books/2022/05/22/mohammed-alnaas-becomes-first-libyan-to-win-international-prize-for-arabic-fiction/>

Weise, Zia, *The Libyan Conflict Explained*, in “Politico”, 2020, <https://www.politico.eu/article/the-libyan-conflict-explained/>

*Celebrations at the Winner Ceremony of the 15th International Prize for Arabic Fiction*, in “International Prize for Arabic Fiction”, 2022 <https://www.arabicfiction.org/en/node/2026>

*Interview with Mohamed Alnaas, winner of the 15th International Prize for Arabic Fiction*, in “International Prize for Arabic Fiction”, 2022, <https://www.arabicfiction.org/en/node/2028>

*Libia, Mohammed Alnaas vincitore del più importante premio sulla lingua araba: il mio libro si interroga sull'identità del Paese*, in “Fattitaliani”, 2022, <https://www.fattitaliani.it/2022/06/libia-mohammed-alnaas-vincitore-del-piu.html?m=1>

*Libya*, in “UNWomen Arab States” <https://arabstates.unwomen.org/en/countries/libya>